

اجاثا كريستي
الجريمة الأخيرة



أجاثا كريستي
{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.
- بيع من كتبها أكثر من **900** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.
- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا، تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصّبها ملكة عليهم جميعًا. تميّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديّون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

الجريمة الأخيرة
The Secret of Chimneys

رواية مثيرة من روايات الكاتبة الرائعة «أجاثا كريستي». تدور الأحداث في هذه الرواية بتتابع مُحكم، وتحرّك الكاتبة شخصيّاتها بمهارة واقتدار بين الأطراف المتعدّدة.
في هذه الرواية يقع «أنتوني كيد» في مؤامرة دولية وهو في طريقه إلى قصر «شيمنيز» لتسليم رسالة مهمة ولكنه يجاري الأحداث حتى اكتشف أن وراء الجرائم الخطيرة التي حدثت عصابة دوْلية تزعّمها شرطيّ مزيّف تبيّن أنه لصّ الجواهر الشهير يُدعَى «ليمون»، وتوصّل «أنتوني» أيضًا إلى القاتل الحقيقي في جريمة قصْر «شيمنيز».
أدعوك - عزيزي القارئ - إلى الاسْتمتاع بقراءة هذه الرواية ومتابعة أحداثها المثيرة بأسْلوبها السّهل الرّقيق.

ثمن الكتاب

لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	150 ل.س.	عُمان	1.5 ريال
الأردن	2 دينار	مصر	10 جنيهات
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	3 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	العراق	4000 دينار

ISBN 995338320-0



الجريمة الأخيرة

بونارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرّبة

الجريمة الأخيرة
(16)

تاليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م

الإدارة العامة والتوزيع

تليفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

ص.ب 374 جونيه – لبنان

www.inter-press.org Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع

المركز الدولي – دار البشير

تاليف

Agatha Christie

الاسم الأصلي للرواية

The Secret of Chimneys

(1925)

الغلاف بريشة الفنان

عبد العال

- 1 -

– يا إلهي..! أهذا هو "**جو**" الجنتلمان؟

– من..؟ الصديق القديم "**ماك جراث**"..!

وتطلع فوج السياح في اهتمام واستمتاع إلى الرجلين اللذين تبادلا هذه الكلمات.

كان الفوج مؤلفًا من سبع نساء مكدودات الوجوه، مترهلات الخطى إعياء، وثلاثة رجال يتفصدون عرقًا.

وكان واضحًا في أذهانهم أن مرشدهم السياحي السيد "**كيد**" قابل صديقًا قديمًا. وكانوا جميعًا يعجبون بالسيد "**كيد**": يعجبهم فيه قوامه الممشوق المتناسق، ووجهه الذي لوحته الشمس بسمرة جذابة، وأسلوبه اللطيف في معالجة مشاكلهم والتوفيق بين رغباتهم المتضاربة.

أما هذا الصديق الذي هبط عليهم فجاة، فكان له نفس القوام الممشوق الذي يتمتع به السيد "**كيد**"، وإن كان دونه وسامة وجاذبية. بيد أنهم على أية حال طابوا نفسًا بهذه الصحبة الطارئة، ووجدوا فيها ترويحا مما يعانون، فقد ضاقوا ذرعا بمدينة "**بولاوايو**"؛ فحرارة الشمس قائظة لا تحتمل، والفندق حقير لا يستطاب، ولم تكن ثمة معالم أخرى يشاهدونها، فكانوا يترقبون في لهفة وصول السيارة لكي تقلهم إلى "**ماتابوس**". وانتحى السيد "**أنتوني كيد**" بصديقه ركنًا قصيًّا؛ وراحا يتبادلان الحديث. وتساءل "**ماك جراث**":

– بحق السماء ما الذي تفعل مع هذا القطيع من النساء..؟!

– أتراك تأملت وجوههن..؟

– تأملتها.. ولهذا حسبتك أعمى فقدت البصر.

– بصري لايزال سليمًا، ولكنهن فوج من السياح التابعين لمكتب "**سليكت**" للسياحة، فإنني أعمل الآن مرشدا سياحيا في هذا المكتب.

– ما الذي حملك على قبول هذه الوظيفة؟

– لقمة العيش يا صديقي، وإن كان هذا العمل لا يلائمني. فأطلق "**جيمي ماك جراث**" ضحكة مرحة وقال:

– أعرف هذا، فـ"**أنتوني كيد**" رجل الحركة والمغامرات لا يمكن أن تطيب له هذه الحياة الجامدة الراكدة. ثم أردف:

– ولكن متى تشاطرني قدحًا من الشراب؟ فأجاب "**أنتوني كيد**":

– إني ذاهب الآن بهذا القطيع لمشاهدة قبر "**رودس**"، وبعدها أفرغ لك بعض الوقت.

ورجع "**كيد**" إلى قطيعه، وانصرف "**ماك جراث**" وهما على موعد للقاء.

*****

كانت الآنسة "**تايلور**" أصغر الفوج السياحي سنًّا، وأكثرهن عبثًا ومرحًا وانطلاقًا. قالت تسأل السيد "**كيد**":

– سيد "**كيد**".. أهذا الرجل من أصدقائك القدامى؟ فأجاب:

– إنه من خلان شبابي العابث العربيد.

– إنه يبدو رجلا لطيفًا مسليًا. ثم أردفت:

– وبهذه المناسبة لماذا ناداك باسم "**جو**" الجنتلمان؟ هل اسمك هو "**جو**"؟ فأجاب:

– كنت أحسب أنك تعرفين أنني أدعى "**أنتوني**". فضحكت ضحكة رنانة، وقالت في تخابث:

– لماذا إذن ناداك باسم "**جو**" الجنتلمان ؟ فأجاب:

– أراد أن يداعبني... فقالت بإصرار:

– لابد أن في الأمر سرًّا، وإن كنا متفقين على أن لك صفات الجنتلمان. وسلوك السيد المهذب. فعقب "**كيد**" في مرح:

– شكرًا لك على هذه الثقة.

– لست في هذا مجاملة، فإنك في الحق سيد مهذب. ونحا السيد "**كيد**" إلى العمل، فقال يخاطب الفوج السياحي:

– حان موعد تناول شاي الصباح.. أرجو أن تتبعوني، ففي الشارع المجاور مقهى لطيف يمكنكم أن تتناولوا فيه ما تشاءون. وقالت الآنسة "**تايلور**" وهي تسير إلى جانبه متأبطة ذراعه:

– هل مضى وقت طويل لم تر فيه صديقك هذا؟

– سبع سنوات على الأقل.

– هل تعرفت إليه في "**إفريقيا**"؟

– نعم.. في مجاهل "**إفريقيا**"، وقد وقع في قبضة إحدى القبائل البدائية، وعندما رأيناه كان الموقد متأجج النيران، وفوقه إناء ضخم به ماء يغلي، وهم يوشكون أن يسلقوه لكي يأكلوه. فقالت الآنسة "**تايلور**":

– وماذا فعلتم؟

– أطلقنا النار على هؤلاء المتوحشين، فانطلقوا هاربين مذعورين، ولكننا صدنا أحدهم وسلقناه ثم أكلناه، وكان لحمه شهيا طيب المذاق. وضحكت الآنسة "**تايلور**"، إذ كانت تعرف أنه يمزح ولا يتكلم جادًّا، بيد أنها قالت:

– يبدو أن حياتك مليئة بالمغامرات؟ فأجاب:

– إن المغامرة تسري في أوصالي.

*****

في العاشرة من مساء تلك الليلة دخل "**أنتوني كيد**" على "**جيمي ماك جراث**" الغرفة التي كان يسكنها، وهناك أخذا يتسامران ويتبادلان الحديث. قال "**جيمي**":

– لو أنني مكانك لما رضيت أبدا أن أعمل مرشداً سياحيًّا؛ فإنها مهنة لا تتفق

وميولك. فقال "**أنتوني**" :

– وأنَّى لي غيرها..؟ لو أنني وجدت بديلا لبادرت إلى التخلي عنها دون تردد.

– أجادٌّ أنت فيما تقول؟

– ولِمَ لا..؟ ولكن إذا كنت تريد أن تقول إن تحت يدك وظيفة لي، إذن فلمَ لا تستولي عليها لنفسك؟

– بل استوليت عليها، ولكنها لا تروقني؛ ولهذا أريد أن أتخلى عنها لك.

– ولكن ما عيبها؟

– إنها وظيفة لا عيب فيها. فقال "**كيد**" :

– أرجو أن يكون مقرها في "**أمريكا الجنوبية**"، فهذه البلاد مليئة بالثورات التي لا تنقطع لحظة واحدة، وأنت تعرف أن الثورات تستهويني.

– اسمع يا بني.. العمل الذي أعرضه عليك ليس في "**أمريكا الجنوبية**". إنه في "**إنجلترا**".

– "**إنجلترا**"..؟ ولكنني أخشى أن أعود إلى "**إنجلترا**"؛ حتى لا يطالبوني بما عليّ من ديون.

– كن مطمئنًّا؛ فالديون تسقط بمضي خمس سنوات، وأنت غبت عن "**لندن**" أربعة عشر عامًا.

– إذن حدثني عما لديك.

– أعرني سمعك يا بني.. أتعرف شيئًا عن "**هيرزوسلوفاكيا**"..؟ وهز "**أنتوني**" رأسه سلبًا وقال:

– لا أعرف عنها إلا ما يعرفه الناس جميعًا من الصحف.. إنها إحدى دول "**البلقان**"، أليس كذلك..؟ أنهارها غير معروفة، وجبالها أيضًا غير معروفة، وعاصمتها "**إيكارست**"، ومعظم سكانها لصوص وقطاع طرق، وهوايتهم المفضلة اغتيال ملوكهم والقيام بالثورات، وآخر ملوكهم "**نيقولا الرابع**" قُتل منذ سبع

سنوات فيما أذكر، وبعدها أصبحت "**هيرزوسلوفاكيا**" جمهورية. فقال "**ماك جراث**":

– هذا يكفي.. سؤال آخر، هل تعرف شيئًا عن الأمير "**أستيل بيتش**"..؟ فقال "**كيد**":

– وهل هناك من يجهل الأمير "**أستيل بيتش**"؟ إنه رجل البلقان القوي، وأعظم رجال السياسة في العصر الحاضر، وهو أيضًا الرجل الشرير الذي كان يجب أن يشنق منذ زمن طويل، ومدبر الدسائس والمحرض على المؤامرات، وهذه الصفات المتناقضة هي خلاصة رأي الصحف فيه، فمن الصحف ما تمجده وتعلي شأنه، ومنها ما تمرغ اسمه في الوحل، ومهما يكن من الأمر فما من حركة أو حركة مضادة في الشرق الأدنى خلال العشرين سنة الماضية إلا كان الأمير "**أستيل بيتش**" هو محركها الخفي المتواري وراء الستار. فقال "**ماك جراث**":

– ولكن الشيء الذي أغفلته أنت هو أنه كان رئيسًا للوزراء في "**هيرزوسلوفاكيا**".

– هذا صحيح، ولكنه مات فيما أعتقد..؟

– مات في "**باريس**" منذ شهرين.. ولكن ما سوف أحدثك به جرى منذ سبعة أعوام.. وهذه هي القصة.

ورشف "**ماك جراث**" جرعة من كاسه، ثم مضى يقول:

– منذ أربع سنوات كنت في "**باريس**"، وحدث ذات ليلة أن كنت أسير في ساعة متأخرة في شارع مهجور، فإذا بي أرى نفرا من الرجال ينهالون ضربًا على رجل تبدو عليه سمات السادة المحترمين. فتصديت لهم، وهاجمتهم في وحشية وشراسة؛ ففروا هاربين، وشكرني الرجل الكهل، وسألني عن اسمي وعنواني، ومن الغريب أنه استطاع أن يعيه على الرغم من أنه كان لا يكاد يعي، وفي اليوم التالي جاء يزورني ليشكرني مرة أخرى، وقدم إليّ مبلغًا من المال. واستطرد "**جيمي ماك جراث**":

– وعندئذ عرفت أن الرجل الذي أنقذته من الموت هو الأمير "**أستيل بيتش**". وكان وقتئذ يقيم في "**باريس**".

فقال "**أنتوني**":

– نعم، فبعد اغتيال الملك "**نيقولا الرابع**" استقر الأمير "**أستيل بيتش**" في "**باريس**". وقد طلبوا إليه أن يعود إلى البلاد؛ لينصبوه رئيسًا للجمهورية، ولكنه رفض المنصب، وظل وفيًّا لا يتخلى عن ولائه لمبادئه الملكية. وقال "**جيمي جراث**":

– أتراك تعلم أن الملك "**نيقولا**" كان رجلا سقيم الرأي في اختيار زوجاته؟

فأجاب "**أنتوني كيد**":

– لقد سمعت أنه التقط من ملاهي "**باريس**" راقصة تافهة الشأن وتزوجها، وأضفى عليها لقبه الملكي، وقد خلع عليها قبل أن يقترن بها لقب الأميرة "**بوبوفسكي**"، وزعمت هي أن دماء آل "**رومانوف**" تجري في عروقها.

وقد تم الزواج في كاتدرائية العاصمة "**إيكارست**"، وقام بالطقوس الدينية أساقفة ناقمون على هذا الزواج الذي لا يليق بمقام ملكهم، ومنذ ذلك الحين أطلق على هذه الرخيصة لقب الملكة "**فاراجا**".. ولئن استطاع "**نيقولا الرابع**" أن يحمل وزراءه على الإذعان، إلا أنه نسي أن شعبه ناقم على هذا الزواج، ولم يلبث الشعب أن قام بالثورة، وقتل الملك والملكة، وأعلنت الجمهورية، واغتيل بعد ذلك رئيس الجمهورية أو رئيسان. والآن فلنعد إلى قصتك.. لقد انتهيت إلى أن الأمير "**أستيل بيتش**" زارك ليشكرك، ودعاك منقذه وحاميه، فما الذي حدث بعد ذلك؟ فقال "**جيمي ماك جراث**":

– بعد ذلك سافرت عائدًا إلى "**إفريقيا**" بحثا عن الذهب، ونسيت كل ما كان من الأمر، إلى أن تلقيت منذ أسبوعين طردا صغيرا لف الدنيا بأسرها في أعقابي؛ إذ كنت دائم التنقل من بلد إلى بلد. لا أكاد أستقر في مكان واحد. ولما فضضت الطرد وجدت فيه مذكرات الأمير "**أستيل بيتش**"، وكنت قد قرأت في الصحف في

ذلك الحين أن الأمير مات في "**باريس**" منذ فترة وجيزة، وكانت مع المذكرات رسالة قصيرة يبلغني فيها الأمير بأنني إذا قمت بتسليم هذه المذكرات إلى شركة نشر معينة في "**لندن**" قبل الثالث عشر من شهر تشرين الأول (أكتوبر) فإن لديهم أمرًا بان ينقدوني ألف جنيه مكافاة لي. وهتف "**أنتوني كيد**":

– ألف جنيه..! ثروة! فقال "**ماك جراث**":

– ولكنها ثروة لا تستهويني، فقد كنت مزمعًا الرحيل إلى قلب "**إفريقيا**"؛ لأضع يدي على منجم ذهب بلغني أمره.

فقال "**أنتوني كيد**" يلومه:

– يا للحماقة..! تركل ألف جنيه نقدًا وعدًا جريًا وراء منجم ذهب وهمي؟!

– وهب أن هذه الألف جنيه كانت هي الأخرى مجرد مزحة سخيفة..! لقد كنت في طريقي إلى مدينة "**الكاب**" بينما هذه المذكرات تضطرني إلى العودة إلى "**إنجلترا**".. ولكن من حسن الحظ أنني التقيت بك هنا فجأة.. فما رأيك؟

– رأيي..؟ في أي شيء..؟

– في أن تحل مكاني..

– وماذا أجني من وراء ذلك..؟

– ربع المكافاة.. مائتين وخمسين جنيهًا. فقال "**أنتوني كيد**" على الفور:

– قبلت. وشربا نخب الاتفاق.

- 2 -

تساءل "**أنتوني كيد**":

– ما اسم السفينة التي كنت ستسافر عليها؟

– "**جرانارث**".. ولن تجد بها مكانًا واحدًا خاليًا، فلا مفر لك من أن تنتحل اسمي.. "**جيمس ماك جراث**"، وتحتل مقصورتي مستخدمًا جواز سفري، وأوصافنا

العامة متشابهة لحسن الحظ. ومضى "**أنتوني كيد**" يذرع الغرفة جيئة وذهابًا وقد غرق في التفكير، ثم تحوّل فجأة إلى "**ماك جراث**" يسأله:

– اسمع يا صديقي.. الأمير "**أستيل بيتش**" مات في "**باريس**". فما هو السبب الخفي الذي حمله على أن يبعث بمذكراته من "**باريس**" إلى "**لندن**" عن طريقك عبر هذه الرحلة الطويلة خلال "**إفريقيا**"؟ وهز "**جيمي**" رأسه في حيرة وهو يقول:

– الحق أني لا أدري.

– ألا يبدو لك الأمر غريبًا؟ أما كان يجدر به أن يبعث بمذكراته رأسا من "**باريس**" إلى شركة النشر في "**لندن**"؟

– لا شك أن له هدفًا خفيًّا.

– ترى هل قرأت هذه المذكرات؟

– وما الذي يدعوني إلى قراءتها..؟

– ما أحسبك تجهل ما تثيره المذكرات عادة من مشاكل!.. إنها عادة تتضمن الكثير من الفضائح والأسرار الخفية، فما يدريك أن الأمير "**أستيل بيتش**" يهدف من وراء نشرها إلى الكشف عن سيئات كبار رجال الدولة في بلاده؟ وبهذه المناسبة.. عندما كان ثملا ألم ينطق بكلمة أثارت انتباهك؟ فعقد "**جيمي**" حاجبيه مفكرًا، ثم أجاب:

– بلى، نطق بأنه يعرف مكان "**الكوهينور**". فعقب "**أنتوني**":

– وأي شيء في هذا؟ ما من أحد لا يعرف مكان هذه الماسة.. إنهم يحتفظون بها في البرج، وراء زجاج مصفح وقضبان من الصلب، ويقوم على حراستها رجال أشداء مدججون بالسلاح.

وأشعل "**أنتوني**" سيجارة أخرى، ثم قال متسائلا:

– ألم تقرأ أخيرًا ما نشر من أنباء "**هيرزوسلوفاكيا**"..؟

– إنني لا أقرأ الصحف إلا نادرًا، فليس فيها ما يثير اهتمامي.

– لقد قرأت فيها أن هناك تفكيرًا في عودة الملكية. فقال "**جيمي**" :

– ولكن "**نيقولا الرابع**" لم يرزق ولدًا، فليس له وريث يمكن أن يخلفه، وإن كان هناك بعض الأقارب ممن قد يطمعون في ارتقاء العرش.

– إذن فلن تكون هناك صعوبة في اختيار أحدهم وتنصيبه ملكًا. واستطرد "**جيمي**" يقول:

– وبهذه المناسبة أذكر الآن أن الأمير "**أستيل**" قال ليلة الاعتداء عليه إنه يعرف العصابة التي اعتدت عليه، وإنهم من أنصار الملك "**فيكتور**" .

فهتف "**أنتوني كيد**" :

– يا إلهي! إن لهذه العبارة أهميتها.

فتساءل "**جيمي**" :

– حقًّا..؟ ومن يكون الملك "**فيكتور**" هذا..؟ أهو أيضًا أحد ملوك تلك الدولة البلقانية؟

فتريث "**أنتوني كيد**" برهة قبل أن يجيب:

– كلا.. إنه لص معروف من لصوص الجواهر.. وقد أطلقوا عليه في "**باريس**" هذا اللقب؛ لشدة بأسه، بعد أن توالت سطواته وعجز البوليس الفرنسي عن إدانته. وأخيرًا قبضوا عليه وقدموه إلى المحاكمة بتهمة تافهة لا أهمية لها، وصدر الحكم عليه بالسجن سبع سنوات، وأعتقد أنه أنهى مدة العقوبة وخرج من السجن. فتساءل "**جيمي ماك جراث**" :

– أيكون للأمير "**أستيل بيتش**" يد في اعتقاله، فأراد أن يثأر لنفسه؛ لأنه بعث عصابته في أعقابه..؟

– ربما، وإن كنت لم أسمع قط أن الملك "**فيكتور**" حاول أن يسرق جواهر التاج الخاصة بملوك "**هيرزوسلوفاكيا**" .

وأردف "**أنتوني**" :

– وهناك مسألة أخرى. لقد أشارت الصحف أيضًا إلى أنهم اكتشفوا البترول في "**هيرزوسلوفاكيا**"، ولهذا بدأ كبار الماليين من اليهود يهتمون بهذه المنطقة. فتساءل "**جيمي**":

– ما الذي ترمي إليه يا "**أنتوني**" بهذا الحديث عن عودة الملكية واكتشاف البترول وتدخل اليهود؟ أتريد أن تقول إنك تخشى أن تجد صعوبة في تسليم مذكرات الأمير إلى شركة النشر في "**لندن**"؟ فأجاب "**أنتوني كيد**":

– كلا.. إني لا أتوقع أية صعوبة من هذه الناحية، ولكني أتوقع أن تكون هذه المنطقة من الشرق الأدنى مسرحًا لأحداث خطيرة في المستقبل القريب. ثم أردف على الفور:

– ولهذا استقر عزمي على أن أتخذ من "**هيرزوسلوفاكيا**" مقرًا لإقامتي.. سوف تكون "**هيرزوسلوفاكيا**" بلد الثورات والمغامرات، وما يدريك أنني قد أصبح رئيسًا للجمهورية. ولهذا ما إن أتسلم المكافأة من شركة النشر في "**لندن**" بعد أن أسلمها مذكرات الأمير حتى أهرع إلى تلك البلاد. فضحك "**جيمي ماك جراث**" وقال:

– إنك واهم يا صديقي، فإن لدي مهمة أخرى في "**إنجلترا**" أريد أن أعهد بها إليك.

فتراخى "**أنتوني كيد**" في مقعده، ونفث حلقة كبيرة من الدخان، ثم قال:

– هذا ما كان يحدثني به قلبي. فأجاب "**ماك جراث**":

– أريد منك أن تنقذ سيدة في محنة.

فقال "**أنتوني**" محتجًا:

– اسمع يا "**جيمي**".. إنني لا أريد أن أقحم نفسي في مغامراتك الغرامية.

– ولكنها ليست مغامرة غرامية، فإني لم أر هذه السيدة في حياتي.

– إذن ما هي القصة؟

– حين كنت في "**أوغندا**" التقيت بفتى إيطالي ينحدر من أصل إسباني، أنقذته

ذات يوم من الموت غرقًا، وكنا نطلق عليه اسم "**بيدور الهولندي**"، وإن كان متجنسًا بجنسية "**هيرزوسلوفاكيا**". وتعلق بي الفتى وأحبني؛ اعترافا بجميلي.

وبعد ستة أشهر مرض بالحمى وقضى نحبه. وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة استدعاني وهمس في أذني بكلمات مبهمة متداخلة، فهمت منها أنه يحاول أن يرشدني إلى منجم للذهب. ودفع إلى يدي بكيس جلدي صغير، كان يشده فوق بطنه؛ حرصا عليه، وهو يغمغم: «هذا هو المنجم».. ولم أحفل بالأمر في البداية، ولكني بعد أسبوع فضضت الكيس؛ لأتبين أين يقع منجم الذهب الذي حدثني عنه، وكانت مفاجأة لم أتوقعها. فقال "**أنتوني كيد**" مازحًا:

– لعله كان منجما للألماس. فقال "**ماك جراث**":

– بل كان حقًّا منجم ذهب، ولكن عند ذلك الكلب الحقير.. أتدري ما الذي وجدته في الكيس؟

حزمة رسائل غرامية كتبتها امرأة إنجليزية، ويبدو أن هذا النذل كان يبتز منها المال؛ حتى لا يفشي سرها، وكان ذلك هو منجم الذهب الذي يعنيه، وقد أراد هذا السافل أن يهديني منجمه لأستغله من بعده. فقال "**أنتوني كيد**" ساخرًا:

– اغفر له يا أبتاه، فقد كان– على الأقل– حسن النية يبغي أن يكافئك على إنقاذك حياته. واستطرد "**ماك جراث**":

– ولقد فكرت في البداية أن أحرق هذه الرسائل، ولكن خطر لي أن هذه المرأة البائسة لن تعرف أن خطاباتها قد أحرقت، وستظل طيلة حياتها تعيش في هم وقلق، ولهذا استقر رأيي على أن أعيدها إليها. فقال "**أنتوني كيد**":

– فكرة طيبة، فما عليك إذن إلا أن تبعث إليها بالرسائل في طرد عن طريق البريد.

– وكيف أفعل والرسائل خالية من عنوانها..؟ بل حتى من تاريخ تحريرها، وإن كانت ثمة رسالة واحدة وردت فيها كلمة "**شيمنيز**". فقال "**أنتوني**" مرددًا:

– "**شيمنيز**"..؟ "**شيمنيز**"..؟

ثم أردف بعد لحظة من التفكير:

- "**شيمنيز**" يا عزيزي "**جيمي**" هو أحد القصور الأثرية العتيقة في "**إنجلترا**"، والملوك والملكات ورجال السلك السياسي يدعون إليه لقضاء عطلات نهاية الأسبوع.

- إذن فانت الجدير بالقيام بهذه المهمة، فإن لك سلوك السادة المهذبين. ثم أردف:

- أضف إلى هذا أن من الخطر أن أعيد إليها الرسائل عن طريق البريد، فقد تقع في يد زوجها خطأ، فاسلم وسيلة هي أن تتولى أنت بنفسك إعادتها إليها يداً بيد.

فتنهد "**أنتوني كيد**" وقال مستسلماً:

- فليكن إذن.. أين هذه الرسائل..؟ وحمل إليه "**جيمي ماك جراث**" الرسائل وهو يقول:

- يحسن بك أن تقرأها كلها، فقد تجد فيها إشارة إلى عنوانها، فإن من المحتمل أن إقامتها في "**شيمنيز**" كانت إقامة مؤقتة. وأخذا يقرآن الرسائل واحدة بعد الأخرى بدقة وعناية دون أن يوفقا إلى كلمة تشير إلى عنوان صاحبتها.

وتساءل "**جيمي ماك جراث**":

- وما العمل الآن، وليس لدينا عنوان لها. كيف يمكنك أن تهتدي إليها؟

فقال "**أنتوني كيد**" في عزم وتصميم:

- كن مطمئناً.. لن أبرح "**إنجلترا**" حتى أعثر عليها.. حسبي أن لدي توقيعها.. سأنبش الأرض نبشاً حتى أهتدي إليها، ولو قابلت في سبيل ذلك كل امرأة في "**إنجلترا**" تحمل اسم "**فرجينيا ريفيل**".

- 3 -

قال الأمير "**كاترهام**" في ضيق وتبرم:

- تماماً يا صديقي العزيز.. تماماً.

كان يرجو أن يضع بهذه الكلمات حداً لهذا الحديث الذي امتد وطال حتى ضاق

به ذرعا. فما كان يطيب له أن يحتجزه الوزير "**جورج لوماكس**" على سلم نادي "**لندن**" ليفرغ في أذنيه ثرثرته التي لا تنتهي.

كان الأمير "**كاترهام**" السابق ذا مكانة بارزة في المجتمع الإنجليزي، وقد شغل منصب وزير الخارجية، وكان قصره "**شيمنيز**" مفتوح الأبواب دائمًا لاستضافة عظماء البلاد ورجال السياسة والسفراء.

وما من شك في أن الأمير "**كاترهام**" الحالي كان يجل ذكرى أخيه الراحل. ولكنه كان يمقت السياسة ويمقت أن يجعل من قصر "**شيمنيز**" مرتعا للسياسيين كما كانت الحال على عهد أخيه. ومن هنا كان تبرمه بحديث الوزير المحترم "**جورج لوماكس**" وثرثرته. وعاد وزير الخارجية "**جورج لوماكس**" يقول:

– إنك تفهم– بالتأكيد– يا "**كاترهام**" ما أرمي إليه. ببساطة إننا لا نستطيع أبدًا أن نسمح بإثارة فضيحة من أي نوع في هذا الوقت. فقال الأمير "**كاترهام**" في سخرية:

– أعرف ذلك، فأنتم دائما ترددون هذه الكلمات.

– حسبنا هفوة واحدة في موضوع "**هيرزوسلوفاكيا**" لكي يفلت من بين أيدينا حق استغلال آبار البترول فلا يعهد به إلى شركة بريطانية.

– تمامًا.. تمامًا.. إنني أدرك هذا.

– البرنس "**أوبولوفيتش**" سيصل في نهاية هذا الأسبوع، والموضوع كله يمكن أن يحسم تحت ستار حفلة ساهرة تقام في "**شيمنيز**".

فقال الأمير "**كاترهام**" متبرمًا:

– ولكنني كنت أعتزم السفر إلى الخارج في هذا الأسبوع.

– أيسافر أحد إلى الخارج في أوائل شهر تشرين الأول (أكتوبر)؟

فنظر الأمير في لهفة إلى سيارة أجرة مرقت أمامه وقال:

– هذا هو ما أشار به الطبيب؟ وود لو أنه استطاع أن يثب إلى السيارة ليظفر

بحريته. لكن "**لوماكس**" كان متشبثًا بذراعه كما هي عادته. وعاد "**لوماكس**" يقول:

– يا صديقي العزيز.. في زمن الأزمات القومية يجب أن نتضامن جميعًا. واستمر يتكلم، ويتكلم.. وتململ الأمير "**كاترهام**" في وقفته، وفي إذعان واستسلام قال:

– حسنًا.. حسنًا.. سأقيم هذه الحفلة الساهرة، وسأتخذ جميع الترتيبات اللازمة. وقال "**جورج لوماكس**":

– هل يضيرك أن يتولى "**بيل إيفرسلي**" توجيه الدعوات؟

– بل على النقيض يسعدني أن يتولاها. إنه شاب نشط، كما أن "**باندل**" تميل إليه.

– وسندعو "**هامان إيزاكستين**" مندوب النقابة الذي حدثتك عنه. وقال الأمير "**كاترهام**":

– وبالتأكيد يجب أن ندعو بعض البعيدين عن الموضوع تغطية للسر.. وسأعهد إلى السيدة "**إيلين**" بأن تتولى هذا.

– هذا مفهوم.. فعلى "**باندل**" أن تدعو بعض الشخصيات الاجتماعية اللطيفة. ثم أردف:

– إنك– بالتأكيد– تذكر موضوع مذكرات الأمير "**أستيل بيتش**" الذي تحدثنا عنه منذ قليل.

– ولكنني لا أقرك على رأيك فالناس يحبون الفضائح.

– لا يعجبني ما يحبه الناس أو ما لا يحبونه.. الذي يعنيني هو أن نشرها في هذه الأيام قد يدمر كل شيء.. كل شيء.. إن شعب "**هيرزوسلوفاكيا**" يريد أن يعيد الملكية، وهم على استعداد لأن ينصبوا الأمير "**ميشيل أو بولوفتش**" ملكًا عليهم، وهو كما تعلم يحظى بتأييد وتشجيع الحكومة البريطانية. فعقب الأمير "**كاترهام**":

– هذا لأنه على استعداد لتوقيع اتفاقية البترول ومنح شركة "**إيكي هيرمانستين وشركائه**" حق استغلال البترول في "**هيرزوسلوفاكيا**" مقابل مليون دولار قرضًا لإنفاقها في سبيل الجلوس على العرش. وهمس "**جورج لوماكس**" في انزعاج:

– "**كاترهام**".. أرجوك.. اخفض صوتك.. إن السرية واجبة. واستطرد الأمير "**كاترهام**" في صوت هامس:

– ولكنكم تخشون أن يؤدي نشر مذكرات "**أستيل بيتش**" إلى إخفاق المحاولة؛ إذ ستكشف دون شك عن سوء سلوك آل "**أوبولوفيتش**"، وسيقول لكم مجلس العموم لماذا تريدون أن تقضوا على الحكومة الحالية الديمقراطية لتحلوا مكانها ملكًا مستبدًا طاغية؟ لماذا تخضعون لتوجيهات الرأسماليين الجشعين الذين يريدون أن يستنزفوا دماء "**هيرزوسلوفاكيا**"؟

– أليس هذا هو ما تخشون؟

فأومأ "**جورج لوماكس**" برأسه موافقًا وقال:

– إنك تذكر– بالتأكيد– موضوع الاختفاء.

– أي اختفاء..؟

– اشحذ ذاكرتك يا رجل، فإني لا أريد أن أفصح.

– آه! آه فهمت.. ألم تستردوها حتى الآن؟

– نعم.. على الرغم من المحاولات المضنية.. كان الأمير "**أستيل بيتش**" نازلا في قصر "**شيمنيز**" عندما اختفت، وقد اختلفنا بشأن المسألة التركية اختلافًا شديدًا، فلعله أراد أن يثأر، فكانت له يد في اختفائها. ومهما يكن فما يدرينا أنه أشار إلى الموضوع في مذكراته؟ فلك أن تتصور الفضيحة التي سوف تثار إذا ما نشرت هذه المذكرات.. لابد أنه يقصد شرًا وإلا فما الذي يحمله على أن يبعث بمذكراته إلى "**لندن**" وهو في "**باريس**" عبر هذا الطريق الطويل الملتوي خلال مجاهل "**إفريقيا**"؟

– أواثق أنت بهذا..؟

– كل الثقة، فإن لدينا عملاءنا السريين في "**باريس**"، وقد أخطرونا قبل وفاته بعدة أسابيع أنه بعث سرًا بمذكراته إلى رجل يدعى "**جيمي**" أو "**جيمس ماك جراث**"، وهو كندي يعيش الآن في "**إفريقيا**". فقال الأمير "**كاترهام**" في جذل:

– إذن فـ"**أستيل بيتش**" أبرع من جواسيسكم.

– هذا ما يبدو.. وسيصل "**ماك جراث**" هذا على الباخرة "**جرانارث**" غداً.. الثلاثاء.

– وماذا ستفعل؟

– سأحاول أن أتصل به، وأن أوضح له المخاطر التي تترتب على نشر المذكرات في الوقت الحاضر. وسأحاول أن أقنعه بإرجاء نشرها ولو شهراً واحداً.

– هب أنه رفض أن يستجيب إلى رجائك..؟

– هذا ما أخشاه.. ولهذا خطر لي الآن فجأة أن ندعوه إلى النزول ضيفًا في قصر "**شيمنيز**". وطبعًا سيزهو فخراً بأن يدعى إلى مقابلة الأمير "**ميشيل**"، وقد يكون من الأسهل إذ ذاك أن نسوي الأمر معه. فقال الأمير "**كاترهام**" معترضًا:

– أتريد مني أن أدعو إلى قصري كنديًا يعيش في أحراش "**إفريقيا**"؟ فقال "**جورج لوماكس**" مستطرداً:

– وقد فكرت في أن أدس عليه إحدى السيدات؛ لكي تتولى الأمر، وتقنعه بدلا من أن أواجهه بنفسي.. إن للجمال سحراً لا ينكر. فما رأيك في ابنة عمي "**فرجينيا**"؟

فقال الأمير "**كاترهام**":

– السيدة "**ريفيل**"..؟ لقد أحسنت الاختيار يا "**لوماكس**".. إنها دون شك أجمل نساء "**لندن**"، بالإضافة إلى أنها حاضرة البديهة تتوقد ذكاء. فقال "**لوماكس**":

– وفضلا عن هذا فإن زوجها له ارتباط بـ"**هيرزوسلوفاكيا**"؛ إذ كان يعمل في

السفارة هناك.

فقال الأمير "**كاترهام**":

– هذا حسن جداً. وتملص من قبضة "**لوماكس**" الذي كان لايزال متشبثًا بذراعه، ووثب إلى سيارة أجرة مرت به، ورجع إلى داره سعيدا وهو يفكر في "**فرجينيا ريفيل**"، ويقول لنفسه: «الحق أنها امرأة ساحرة».

- 4 -

رجع وزير الخارجية "**جورج لوماكس**" من فوره إلى "**هوايتهول**"، ودعا إليه سكرتيره "**بيل إيفرسلي**" وسأله:

– هل اتصل بي أحد؟

– السيد "**إيزاكستين**" يسأل عما إذا كنت تستطيع أن تتناول معه الغداء في "**سافوي**" غداً؟

– لا مانع إن لم أكن مرتبطا بموعد آخر، فارجع إلى المفكرة. ثم أردف: وعلى فكرة ابحث في الدليل عن رقم السيدة "**ريفيل**" 487 شارع "**بونت**"، ودعني أتصل بها.

وتناول "**بيل**" دليل التليفون، وقلب صفحاته دون أن ينظر فيه، ثم طواه وقال للوزير:

– أوه!.. لقد كدت أنسى يا سيدي الوزير.. إن تليفون السيدة "**ريفيل**" معطل اليوم، فقد كنت أحاول الاتصال بها منذ برهة وجيزة. فغمغم الوزير في ضيق وهو يدق مكتبه بقبضة يده:

– شيء مزعج.. كنت أود الاتصال بها لأمر عاجل. فقال "**بيل**":

– يمكنني أن أركب سيارة أجرة وأذهب إليها على الفور يا سيدي. وتردد "**جورج لوماكس**" هنيهة، ثم قال:

– اذهب إليها إذن، وسلها عما إذا كانت تستطيع أن تقابلني في بيتها في الرابعة بعد ظهر اليوم، فإني أريد أن أراها لأمر مهم. وما إن انقضت عشر دقائق حتى توقفت سيارة الأجرة بـ"**بيل إيفرسلي**" أمام بيت السيدة "**ريفيل**"، وضغط الشاب الجرس فتلقاه الوصيف "**شيلفرز**" بوجهه الجاد، فحيّاه "**بيل**" وسأله عما إذا كانت السيدة "**ريفيل**" موجودة. وأجاب "**شيلفرز**":

– أعتقد يا سيدي أنها توشك أن تخرج. وجاءه صوتها من فوق سياج السلم:

– أهذا أنت يا "**بيل**"..؟ لقد عرفتك من صوتك.. هيا اصعد لنتحدث قبل أن أخرج. كان "**بيل إيفرسلي**" شابًا وسيمًا لطيف المعشر، لا يتجاوز سنه الخامسة والعشرين. والذي ما إن يراه أحد حتى يدور رأسه. ورفع "**بيل**" بصره إليها يتطلع إلى ذلك الوجه الضاحك الفاتن، وصعد الفتى درج السلم وثبا، وأطبق على يدها يصافحها. كانت "**فرجينيا ريفيل**" في السابعة والعشرين من عمرها، طويلة القامة، رشيقة القوام، ذات شعر برنزي ناعم يتوج عينين بلون سنابل القمح الناضجة، ينبعث منهما بريق خلاب. أما وجهها فصبوح يتدفق حيوية ونضرة. وسحبت "**بيل**" من يده إلى غرفة الاستقبال وهي تقول:

– ما الذي جاء بك أيها العزيز "**بيل**"؟ كنت أحسب أن وزارة الخارجية ستتوقف عن العمل حين تغيب عنها. فأجاب:

– إن معي رسالة لك من الوزير. ثم أردف:

– وعلى فكرة يا "**فرجينيا**".. لا تنسي أن تليفونك كان معطلا صباح اليوم. هذا في حالة ما إذا سألك الوزير.

– ولكن تليفوني لم يكن معطلا.

– أعرف هذا، ولكني زعمت له أنه كان معطلا.

– ولكن ما السبب في إقدامك على هذه الأكذوبة؟

– ألا تعرفين..؟ لقد كذبت حتى يبعث بي إليك فيتاح لي أن أراك. فهتفت في مرح:

– آه.. ما ألطف أن تكذب لكي تراني!.. ولكن ما هي رسالة "**جورج**" يا ترى..؟

– إنه يريد أن يحضر لزيارتك في الرابعة بعد الظهر.

– ولكنني لن أكون موجودة.. إنني ذاهبة إلى نادي "**ريفلاي**".. ولكن ما السبب في هذه الزيارة التي يخطرني بها بطريقة رسمية؟ أتراه يريد أن يتقدم لخطبتي؟ فأجاب:

– لو أن هذا حدث لما أدهشني.

– إذا كان الأمر كذلك فقل له إنني أفضل الرجل الذي يخطبني فجاة وهو في حالة اندفاع عاطفي. فقال "**بيل**":

– مثلي أنا، أليس كذلك؟ فقالت ضاحكة:

– كلا يا "**بيل**"، فأنت تخطبني بحكم العادة، لا خضوعًا لثورة عاطفية. فقال في انفعال:

– "**فرجينيا**".. ألا يمكن أبدًا أن.. وأرتج عليه القول فأردف:

– ألا تعرفين أنني أحبك؟ فقالت:

– أعرف يا "**بيل**". وإنه ليسعدني أن أعرف أنني محبوبة.. إني لأتمنى أن يحبني كل رجل ظريف في هذه الدنيا.

ثم أردفت:

– وماذا قال لك أيضًا؟

– قال إنه يريد أن يراك لأمر مهم.

– أبلغ "**جورج**" إذن أنني سأكون في انتظاره اليوم في الرابعة. ونظر "**بيل**" في ساعته وقال:

- يبدو أنه لا داعي لأن أعود الآن إلى المكتب، فهلا تناولنا الغداء معًا يا "**فرجينيا**"؟

- ولم لا..؟ إنه ليسعدني أن نتناول الغداء معًا. فهتف "**بيل**":

- ما ألطفك يا "**فرجينيا**"! ثم أردف:

- اسمعي يا "**فرجينيا**".. إنك تميلين إليّ، أليس كذلك..؟ أعني أكثر من الآخرين..؟ فأجابت:

- إنني معجبة بك يا "**بيل**".. وإذا كان لي أن أتزوج في يوم من الأيام.. أي إذا أجبرت على الزواج فسأختارك دون تردد.. نعم.. سأختارك أنت دون الناس أجمعين، ولكنني أفضل أن أبقى هذه الأرملة الخبيثة الشريرة. فقال:

- ولكنني لن أحجر على حريتك أبدًا.. يمكنك أن تبقي كما أنت «الأرملة الخبيثة الشريرة» حتى بعد زواجنا.. وسيكون لك أن تفعلي ما يروقك دون أن أعترض أو أتدخل. فقالت "**فرجينيا ريفيل**":

- وبالتأكيد ستطالبني بأن أعاملك بالمثل، وأدع لك الحبل على الغارب، فأتركك تتناول العشاء مع فتاة حسناء كما فعلت أول أمس. فارتبك "**إيفرسلي**" وقال في كلمات متلعثمة:

- آه!.. لعلك تعنين هذه الفتاة التي تعمل في "**هوكس**"؟ إنها مجرد فتاة ساذجة بريئة، ولا شيء بيننا على الإطلاق. فضحكت "**فرجينيا**":

- بالتأكيد لا شيء بينكما.. والآن إن أفضل ما نفعله هو أن تصحبني لتناول الغداء.

- 5 -

قد تكون الخطة محبوكة، ولكن غالبًا ما تكون فيها غلطة واحدة تتسبب في إخفاقها. وقد كانت خطة "**جورج لوماكس**" محبوكة، ولكنه ارتكب غلطة واحدة

أدت إلى فشلها، وكانت هذه الغلطة هي "**بيل إيفرسلي**". وكان "**بيل**" شابًا ظريفًا حلو الحديث، ولا شيء غير هذا. وكان في مكانه كسكرتير للوزير أشبه شيء بالكلب الذي يتبع صاحبه أينما يذهب، دون أن يتولى عملا ذا شان. وإذا كانت هناك مهمة تافهة فإن "**بيل إيفرسلي**" هو الذي يوفد لأدائها. وهكذا أوفد "**جورج لوماكس**" سكرتيره "**بيل**" ليستفسر عن موعد وصول الباخرة "**جرانارث**"، وكما هي العادة بالنسبة إلى الشبان المتخرجين في الجامعات الإنجليزية فإنهم يدغمون الكلمات ويأكلون الحروف عندما يتحدثون، متشبهين في ذلك بالنبلاء الذين ينحدرون من أصل أرستقراطي.

ولذلك سمع كاتب الاستعلامات اسم السفينة على أنها "**كارناث**" - في حين كان "**بيل**" يقصد أن يقول: "**جرانارث**"، فأمد سائله بالبيانات الخاصة بالباخرة "**كارناث**"، فعاد "**بيل**" إلى وزيره ينبئه أن "**جرانارث**" ستصل يوم الخميس القادم دون أن يخطر ببال "**لوماكس**" أن هذا البيان خاص بالباخرة "**كارناث**".

وكانت هذه الغلطة هي التي أودت بالخطة، ذلك أن الباخرة المقصودة كانت قد ألقت مراسيها فعلا في "**ساوثامبتون**" بعد ظهيرة نفس اليوم الذي كان يتحدث فيه إلى الأمير "**كاترهام**" على سلم النادي، ويتفق معه على أن تتولى "**فرجينيا ريفيل**" دعوة الرسول الذي حمل مذكرات الأمير "**أستيل بيتش**" لقضاء أيام في قصر "**شيمنيز**".

ففي الساعة الرابعة من بعد ظهر ذلك اليوم هبط "**أنتوني كيد**" إلى الرصيف منتحلا اسم "**جيمي ماك جراث**"، إذ كان قد استعار جواز سفر صديقه واستخدمه ليتسنى له أن يستعمل المقصورة المحجوزة في الباخرة باسم صديقه. ولم تمضِ ساعة واحدة حتى كان في "**لندن**" بعد أن تغيب عنها أربعة عشر عامًا. اتجه "**أنتوني كيد**" من فوره إلى فندق "**يلياز**" وحجز لنفسه غرفة، وهو لايزال منتحلا اسم "**جيمس ماك جراث**"، ثم راح يتجول في الشوارع القريبة؛

ليتبين معالم المدينة بعد أن غاب عنها هذا الزمن الطويل، ثم ارتد راجعًا إلى فندقه.

وفيما هو يعبر الطريق إذا برجل يصطدم به، وتمتم الرجل ببضع كلمات اعتذار وهو يتفحص وجه "أنتوني كيد" بنظرة ثاقبة، ثم تابع طريقه.

كان الرجل قصير القامة، ربع القوام، له سمات الأجانب. ومضى "أنتوني كيد" يتساءل عن سر هذه النظرة الفاحصة. أيكون هذا الرجل قد التقى به قبل أربعة عشر عامًا، حين كان يعيش في "إنجلترا" قبل رحيله إلى "إفريقيا" وهو في الثامنة عشرة من عمره؟

ورن جرس التليفون. وسمع كاتب الاستعلامات يخبره بأن سيدًا أجنبيًّا يطلب مقابلته، فقال "أنتوني" في دهشة:

– يريد مقابلتي أنا..؟! ما اسمه من فضلك؟

– سأبعث إليك ببطاقته مع أحد السعاة يا سيدي.

وبعد لحظات قرع الباب ودخل الساعي وقدم إليه بطاقة عليها هذا الاسم: "البارون لولوبريتز".

وعجب للأمر، فإنه لم يكن يعرف أحدا بهذا الاسم.

وقال للساعي:

– ابعث به إليّ.

وقرع الباب للمرة الثانية، ودخل "البارون لولوبريتز".

وضم "البارون" قدميه، ودق كعبيه، وانحنى تحية، ثم اعتدل واقفًا وهو يقول:

– هل أنت السيد "ماك جراث"؟ ورد "أنتوني" بالإيجاب، فما كان في وسعه أن يقول إنه يدعى "أنتوني كيد"، وإنه ينتحل اسم صديقه. وأشار "أنتوني" إلى أحد المقاعد وهو يقول:

– لا أذكر يا سيدي "البارون" أنه كان لي شرف لقائك.

فأجاب "**البارون**" في لهجة مهذبة وبلكنة أجنبية:

– هذا لسوء حظي يا سيد "**ماك جراث**". واستطرد "**البارون**":

– إنني أمثل في "**لندن**" الحزب الملكي في "**هيرزوسلوفاكيا**" ولن أحاول أن أخفي عنك شيئًا يا سيد "**ماك جراث**".. لقد حانت اللحظة لإعادة الملكية إلى البلاد بعد أن تحولت إلى جمهورية عقب اغتيال شهيدنا العظيم حضرة صاحب الجلالة الملك "**نيقولا الرابع**". ومضى "**البارون**" قائلا:

– وبتأييد من الحكومة البريطانية سيخلفه على العرش حضرة صاحب السمو الأمير "**ميشيل**". فقال "**أنتوني**":

– شكرًا لك على إبلاغي هذه المعلومات.

– كان كل شيء يسير في مجراه الطبيعي في يسر وسهولة إلى أن ظهرت أنت على المسرح.

فقال "**أنتوني**" معترضًا:

– سيدي "**البارون**".. إنني.. بيد أن "**البارون**" قاطعه بقوله في صوت صارم:

– إنني أعرف ما أتحدث عنه يا سيدي. إنك جئت إلى هذه البلاد ومعك مذكرات الأمير "**أستيل بيتش**".

ورمى "**أنتوني**" بنظرة تنطوي على الاتهام. واستطرد قائلا:

– هذه المذكرات سوف تثير فضائح لا حدود لها.. كان الأمير ملمًّا بجميع الأسرار، ولو أن جزءًا منها كشف عنه الستار لأدى ذلك إلى نشوب الحرب في "**أوربا**". فقال "**أنتوني**":

– ألا تراك مسرفًا في المبالغة؟ فقال "**البارون**":

– نشر هذه المذكرات كفيل بإثارة الرأي العام ضد آل "**أوبولوفيتش**" مما سيترتب عليه أوخم العواقب لما نعرفه جميعا عما يتصف به الشعب الإنجليزي من ديمقراطية.

وتساءل "**أنتوني كيد**":

– ولكن ما الذي تخشاه يا سيدي "البارون"؟ ما الذي تتضمنه هذه المذكرات؟

– هذا ما لا أستطيع أن أجيبك عنه إلا بعد أن أقرأ هذه المذكرات. فقال "أنتوني":

– اسمع يا "بارون". إن الناشرين عادة لا يبادرون إلى طبع المذكرات فور تسلُّمها، وإنما تبقى لديهم عاما على الأقل مودعة في خزائنهم، ثم ينشرونها، وعندئذ يكون أميركم المعظم قد ارتقى العرش منذ أشهر طويلة، فلا محل إذن لمخاوفك. فقال "البارون":

– إنك مخطئ في هذا يا سيدي، فإن إحدى صحف الأحد سوف تنشر مقتطفات من هذه المذكرات فور أن تتسلمها دار النشر. فقال "أنتوني":

– فهمت.. ولكنكم على أية حال تستطيعون أن تذكروا كل شيء. فهز "البارون" رأسه في عناد وقال:

– دعنا من هذا النقاش يا سيدي فلا جدوى منه. ثم أردف:

– إنك ستتقاضى من شركة النشر ألف جنيه مقابل تسليمها المذكرات، فما رأيك في أن أنقدك ألفا وخمسمائة جنيه لكي تسلمها إليّ..؟

– أخشى أن أكون مضطرا إلى الرفض.

– إذن فلنقل إنني سأنقدك ألفي جنيه.

– هذا إغراء شديد يا عزيزي "البارون"، ولكني لا أزال أقول إنني أرفض.

– إذن حدد الثمن الذي يرضيك.

ولاحت على شفتي "أنتوني" ابتسامة خفيفة، وقال:

– أعتقد يا سيدي "البارون" أنك أخطأت فهمي، ولكني أحب أن أكون صريحًا معك.. لقد تعهدت بشرفي بأن أسلم المذكرات إلى شركة النشر، فلا مناص من أن أؤدي واجبي.. ونهض "البارون" واقفًا وقال:

– إنني أحترم الشرف البريطاني، فلا مفر من أن ألجأ إلى وسائل أخرى.. طاب

صباحك يا سيدي. وضم قدميه، ودق كعبيه أحدهما بالآخر، ثم استدار منصرفًا يغادر الغرفة.

*****

أخذ "**أنتوني كيد**" يذرع الغرفة جيئة وذهابًا، وهو يسائل نفسه عن معنى هذه الكلمات: «لا مفر من أن ألجأ إلى وسائل أخرى».. أهذا تهديد له؟

لقد اقترب الموعد المحدد لتسليم المذكرات فلم يبق عليه إلا أسبوع واحد، فهل يبادر إلى تسليمها؟ إنه شغوف بمعرفة ما تتضمنه من فضائح وأسرار، ولهذا قرر أن يستبقيها لديه حتى اليوم الأخير.

ثم هناك المهمة الأخرى التي عهد إليه بها صديقه: تسليم حزمة الرسائل الغرامية إلى السيدة "**ريفيل**". وتناول دليل التليفونات، ومضى يبحث فيه عن هذا الاسم؛ ليتبين عنوان صاحبته.

كان في الدليل ستة أشخاص يحملون اسم "**ريفيل**"، "**إدوارد ريفيل**" طبيب جراح، ثم شركة "**ريفيل**"، والأب "**لينوكس ريفيل**" قسيس إحدى الكنائس، والآنسة "**ماري ريفيل**"، والسيدة "**تيموتي ريفيل**"، وأخيرًا السيدة "**ويليس ريفيل**". واستبعد "**أنتوني**" اسمين من بين الأسماء الستة: شركة "**ريفيل**" والآنسة "**ماري ريفيل**"، فتبقى لديه أربعة أسماء لا يدري من تكون السيدة "**فرجينيا ريفيل**" من بينها. ولم يكن معقولا أن يذهب إلى هذه البيوت الأربعة فيقول لأصحابها: «هل تقيم هنا السيدة "**فرجينيا ريفيل**"؟ لدي حزمة رسائل غرامية كتبتها وأريد أن أعيدها إليها».

وأطبق "**أنتوني**" دليل التليفون ساخطا وهو يقول لنفسه فلأدع الأمر إلى المصادفة إذن. وجاءته المصادفة عاجلا على غير انتظار. كان جالسًا في بهو الفندق يقلب إحدى المجلات المصورة فوقع بصره على صورة لحسناء فاتنة ترتدي ملابس

"**كليوباترا**"، وتحتها هذه الكلمات: «كان من بين المعروضات في معرض الصور الذي أقامته الدوقة "**دي بيرث**" صورة للسيدة "**تيموتي ريفيل**" تمثلها في ثياب "**كليوباترا**" الفرعونية. وكانت السيدة "**ريفيل**" قبل زواجها بالنائب المحترم تدعى "**فرجينيا كاوثرون**"، وهي ابنة الأمير "**إنجباستون**". إذن فهذه لابد أن تكون هي السيدة "**فرجينيا ريفيل**" التي يبحث عنها ليسلمها رسائلها الغرامية؟

وانتزع "**أنتوني**" الصورة من المجلة، ثم صعد إلى غرفته، فجاء بحزمة الرسائل ووضع الصورة فوق الحزمة وهمّ بأن يودع الحزمة جيبه.

وفجأة سمع صوتًا وراءه، فاستدار مجفلا. رأى في مدخل الغرفة رجلا عريض المنكبين، تنم نظراته عن الشر والخبث. وهتف به "**أنتوني**":

- بحق السماء ماذا تفعل هنا..؟! ومن الذي أذن لك بالدخول؟ وقال الرجل في لكنة أجنبية وصوته يوحي بالتحدي:

- إني أدخل حيث أشاء، وحين أشاء. فصاح به "**أنتوني**":

- إذن عليك أن تخرج فوراً.

واستقرت عينا الرجل على حزمة الرسائل التي كان "**أنتوني**" ممسكًا بها وقال:

- سأخرج بعد أن أنال ما جئت من أجله.

- حقًّا..؟ وهل لي أن أسأل عن هذا الشيء الذي جئت من أجله؟ وتقدم الرجل خطوة إلى الأمام وأجاب:

- مذكرات الأمير "**أستيل بيتش**".

- حقًّا؟ ومن الذي أوفدك.. "**البارون لولوبريتز**"؟ وهز الرجل رأسه سلبًا دون أن يجيب، ولم يقنع بهذا، وإنما بصق على الأرض في تقزز واشمئزاز، ثم أخرج من جيبه ورقة بسطها على المنضدة وهو يقول:

- انظر أيها الإنجليزي اللعين. ونظر الإنجليزي اللعين إلى الورقة المنشورة وقال:

- رسم على شكل يد مدهونة باللون الأحمر. فقال الرجل:

– هذا الرسم هو شعار "رفاق اليد الحمراء" .. إنني واحد من هؤلاء الرفاق. فقال "أنتوني كيد" :

– هذا عجيب ..! كيف تكون من «رفاق اليد الحمراء» مع أنني أرى يدك بيضاء ..؟ فزمجر الرجل وقال سابًّا لاعنًا:

– أتهزأ بي أيها الكلب ..؟ يا عبد الملكية المنحوسة! أعطني المذكرات أطلقك دون أن يمسك أذى.

– يجب أن تعرف أنني مكلف بأن أسلم المذكرات إلى شركة نشر معينة وليس إلى "رفاق اليد الحمراء". وضحك الرجل ضحكة وحشية وقال:

– وهل تعتقد أنه يمكنك أن تصل إلى مكاتب الشركة حيًّا ..؟ والآن كفى عبثًا هيا سلمني المذكرات وإلا أطلقت عليك النار. وأخرج الرجل مسدسه ورفعه في الهواء، بيد أنه أخطأ الحكم على مقدرة "أنتوني كيد".

ما كاد الرجل يدس يده في جيبه حتى كان "أنتوني" قد قفز في الهواء، وضرب الذراع الممسكة بالمسدس، وطار المسدس واستقر على الأرض. وكان الانقضاض من القوة بحيث ترنح الرجل واختل توازنه، ودار حول نفسه. ولم يدع "أنتوني" الفرصة تفلت من يده، بل عاجل الرجل بجماع يده على قفاه، ثم ثنى بركلة من قدمه في ظهر الرجل دفعت به عبر الباب المفتوح إلى الممشى، وكاد ينكفئ على وجهه لولا أن استند إلى الجدار المقابل.

وقبل أن يهم "أنتوني" باللحاق به كان الرجل قد انطلق هاربًا لا يلوي على شيء. وغمغم "أنتوني كيد" قائلا:

– يا إلهي ..! إنها إذن لن تكون بالمهمة السهلة الهينة ..! إن الأحزاب كلها تتنازع المذكرات وتسعى إلى الاستيلاء عليها. أنصار الملكية .. وأنصار الجمهورية .. وأخيرًا "رفاق اليد الحمراء" ..!

وآثر "أنتوني" أن يتناول عشاءه في غرفته، فقد خشي إذا هو هبط إلى القاعة أن

يسطو أحد على غرفته سعيًا وراء المذكرات. ودق الجرس وأمر بأن يؤتى إليه بطعامه في غرفته.

وفيما هو ينتظر العشاء أخرج المذكرات من حقيبته ووضعها على المنضدة مع حزمة الرسائل الغرامية، إذ استقر رأيه على أن يقرأ الليلة هذه المذكرات. وقرع الباب ودخل الخادم يحمل صينية فوقها صحاف الطعام. ونهض "أنتوني" ومشى إلى ركن الغرفة ليفسح للخادم مكانًا يتحرك فيه ويعد المائدة. كان واقفًا عندالمدفأة، يتطلع إلى المرآة القائمة فوقها، وعندئذ فطن إلى شيء أثار استغرابه.

رأى عيني الجرسون تستقران على لفافة المذكرات الموضوعة فوق المنضدة الركنية، ورأى العينين تتألقان. ودار الخادم حول المائدة، وهو يضع فوقها صحاف الطعام.. وأخذ يدور رويداً رويداً حتى اقترب من المنضدة الركنية.

وفجأة تقلصت يداه، ثم هم بأن ينقض على المنضدة في حركة فجائية ليخطف المذكرات. بيد أن "أنتوني" كان يرقب حركته وهي تنعكس على صفحة المرآة، فاستدار في اللحظة المناسبة وقال:

– ما اسمك يا بني؟ ورد الخادم يديه، وأبعدهما عن المنضدة وأجاب:

– "جيوسيب" يا سيدي.

– إنك إيطالي فيما أرى؟

– نعم يا سيدي.

وتحدث إليه "أنتوني" باللغة الإيطالية فألفاه يجيدها ويتحدث بها بطلاقة.. إذن فهو إيطالي بلا شبهة. وانصرف الخادم وجلس "أنتوني" يتناول طعامه. أحقًا أبرقت عينا الجرسون عندما رأى المذكرات؟ أحقًا كان يدور حول المائدة ليقترب من مكان المذكرات..؟ أحقًا تقلصت أصابعه وكان يهم باختطافها؟ وفرغ من طعامه، فأوصد باب الغرفة بالمفتاح، وزيادة في الحيطة وضع مقعداً وراءه ليتنبه إلى أية حركة تصدر من المقعد إذا زحزح عن مكانه. ثم دس حزمة الرسائل الغرامية في حقيبته، ومضى

إلى فراشه ومعه مذاكرت الأمير "**أستيل بيتش**" . كانت الساعة قد شارفت الحادية عشرة حين كلت عيناه. فطوى المذكرات، ودسها تحت وسادته، وأطفأ المصباح، وأغلق عينيه واستسلم للنوم.

*****

لابد أنه كانت قد مرت أربع ساعات حين استيقظ "**أنتوني كيد**" من نومه مجفلا.. لم يكن يدري ما الذي أيقظه، ولكنه بإحساس الرجل المغامر شعر أن هناك خطرا يجثم على مقربة منه ويتهدده.

أرهف أذنيه، وأخذ يحدق بعينيه إلى الظلام، وخُيِّل إليه أنه يسمع حفيفًا غير ملحوظ، ثم تبدى له ظل أسود بينه وبين النافذة.. حيث كانت حقيبته. وفي قفزة واحدة كان "**أنتوني كيد**" قد وثب من الفراش في نفس اللحظة التي ضغط فيها زر النور الكهربائي. كان هناك رجل يقعد على الأرض، مائلا بجسده فوق الحقيبة. وما كان هذا الرجل إلا الخادم الإيطالي "**جيوسيب**" .

وهب الخادم واقفًا، وكانت في يده اليمنى مدية مشرعة وانقض على "**أنتوني**" يحاول أن يطعنه، وانحرف "**أنتوني**" وطاشت الطعنة في الهواء، وفي اللحظة التالية كان الرجلان متلاحمين، وهما يتدحرجان على الأرض، و"**أنتوني**" متشبث بذراع الإيطالي يثنيها إلى الوراء بكل قوته. ولم يتحمل الإيطالي الضغط الواقع على ذراعه، فأفلتت أصابعه المدية واستقرت على الأرض، ولكنه بادر في نفس اللحظة إلى تسديد لكمة قوية إلى فك "**أنتوني كيد**" . ثم اغتنم الفرصة وجرى إلى النافذة، فتخطى سياجها وهرب عن طريقها بأن وثب إلى الشرفة المجاورة.

ورجع "**أنتوني كيد**" إلى حقيبته فوجدها مفتوحة، وكان هناك شيء قد اختفى. كانت حزمة الرسائل الغرامية هي التي اختفت.

- 6 -

قبل الرابعة بخمس دقائق كانت "**فرجينيا ريفيل**" تدس مفتاحها الخاص في قفل الباب، ليتلقاها رئيس الخدم "**شيلفرز**" بقوله:

– عفوًا يا سيدتي.. ولكن هنا سيد في انتظارك. فقالت وهي تخلع معطفها:

– السيد "**لوماكس**"؟ هل أجلسته في قاعة الاستقبال؟

– إنه سيد آخر، وقد ترددت في السماح له بانتظارك، لولا أنه قال إن الأمر مهم وعاجل، وإن له صلة بالمرحوم النقيب. وقد أدخلته إلى قاعة المكتبة. وشردت "**فرجينيا**" هنيهة بخواطرها. لقد ترملت منذ بضع سنوات، فمن هذا الذي يجيء الآن ليتحدث إليها عن شأن له صلة بزوجها؟ واستطرد:

– ويبدو لي يا سيدتي أنه أجنبي. وتضاعف عجبها.. كان زوجها من رجال السلك السياسي، وقبل وفاته أمضى سنوات يعمل في "**هيرزوسلوفاكيا**" قبل مصرع ملكها وملكتها، فهل يكون هذا الزائر من أبناء هذه البلاد؟

وفتحت باب المكتبة، ودخلت لتقابل الزائر المجهول. كان الزائر جالسًا في مقعد كبير أمام المدفأة، وهب واقفًا عند دخول ربة الدار، وانحنى أمامها يحييها في احترام. وحين تكلم رجح عندها من لهجته أنه إسباني أو إيطالي. وسألته:

– هل طلبت مقابلتي يا سيدي؟ وتأملها الرجل برهة بنظرة فاحصة قبل أن يقول:

– هل أنت السيدة "**تيموتي ريفيل**"..؟ إني شاكر لك أن تفضلت بمقابلتي، وإلا لاضطررت أن أبادر إلى مقابلة زوجك. وتطلعت إليه "**فرجينيا**" في دهشة، ولم تحاول أن تقول له إنه إذا أراد أن يقابل زوجها فإن عليه أن يذهب إلى الجنة أو الجحيم، فإن زوجها قطعًا لابد أن يكون في أيهما.. وإنما قالت في يسر:

– إن مقابلة زوجي ليست سهلة ميسورة. فأجاب الرجل في اقتضاب:

– بل كان لابد لي أن ألقاه؛ فإنني لحوح مثابر لا يصدني شيء. على أية حال لا داعي للنقاش.. إنك تعرفين هذا دون شك؟ فقالت وقد وقع في روعها أنها إزاء

رجل مختل.

– إنه خطاب فيما يبدو. فقال:

– ولعلك لاحظت العنوان المكتوب؟ فقالت:

– إنه موجه إلى النقيب "**أونيل**" بشارع "**كوينيل**" رقم 15 في "**باريس**". وناولها الخطاب وهو يقول:

– هل لك أن تقرئيه؟ وتناولت "**فرجينيا**" الظرف وفضته، وألقت نظرة سريعة على الخطاب، ثم توتر وجهها، وهمت بأن تعيده إليه قائلة:

– إنه خطاب خاص، وليس من حق أحد أن يطلع على مكنوناته. وضحك الرجل في سخرية وقال:

– إني أهنئك يا سيدة "**ريفيل**" على براعتك في التمثيل.. ومع ذلك فلا أحسبك تجسرين على أن تنكري التوقيع. وقلبت "**فرجينيا**" الرسالة بين يديها، وقد استبدت بها الدهشة، ثم تطلعت إلى التوقيع، وكان مكتوبًا بحروف أنيقة واضحة، ولم يكن هناك شك في أنه: "**فرجينيا ريفيل**". وعندئذ لم تتردد في أن تقرأ الخطاب كله، ثم غرقت برهة في التفكير، إذ كان فيما قرأته ما كشف لها ما يهدف إليه الرجل وعاد الرجل يتساءل:

– أليس هذا هو اسمك؟ وأجابت "**فرجينيا**":

– بلى، إنه اسمي فعلا. وهمت بأن تردف:

– ولكنه ليس بخطي. بيد أنها أمسكت، وبدلا من ذلك قالت:

– هلا جلسنا لنتبادل الحديث قليلا؟ ودهش الرجل، فما كان هذا ما توقع، ووضح لديه أنها لا تخشاه.

وأخرج من جيبه صورة فوتوغرافية منتزعة من إحدى المجلات وأراها إياها، نفس الصورة التي كان "**أنتوني كيد**" قد نزعها وضمها إلى حزمة الرسائل. واستطرد الرجل:

– إنك تدركين– بالتأكيد– يا سيدة "**ريفيل**" أن هذا ليس هو الخطاب الوحيد.. إن لدي العديد من هذه الرسائل. فهتفت "**فرجينيا**" :

– يا إلهي!.. يبدو أن أسراري أصبحت مفضوحة. ثم أردفت وعلى شفتيها ابتسامة متألقة:

– على أية حال كان لطيفًا منك أن تسعى إليّ لتعيد إليّ الخطاب. وكانت سكتة قصيرة تنحنح فيها الرجل، وحاول أن يجلو صوته. ثم أردف في نبرة توحي بالمعنى الذي يهدف إليه:

– لعلك تدركين يا سيدة "**ريفيل**" أنني رجل فقير، ولهذا لن أبيح لنفسي أن أعيد إليك هذه الخطابات دون أن تنقديني ثمنها. فنظرت إليه في شيء من الدهشة وقالت:

– ثمنها؟.. يبدو أنه غاب عنك أن هذه الرسائل ملك لمن كتبتها. فقال:

– هذا هو حكم القانون، ولكنك نسيت أن في القانون نصًّا آخر يقول: «الحيازة في المنقول سند الملكية»، وهذه الرسائل الآن في حيازتي، فهي ملكي. فقالت "**فرجينيا**" في هدوء والابتسامة لا تزايل شفتيها:

– يبدو أنك أنت أيضًا نسيت أن القانون ينص على عقوبات قاسية للمبتزين. فابتسم الرجل وقال:

– سيدة "**ريفيل**".. دعينا من هذا الحوار الذي لا يجدي، واعلمي أنني لست بالرجل الغبي الأحمق.. هذه الخطابات كتبتها امرأة إلى عشيقها، فماذا يكون من أمرها لو أن زوجها اطلع عليها؟ فقالت تحاوره:

– هذه الخطابات كتبت منذ سنوات، أفلا يجوز أن يكون زوجي قد مات وأنني الآن أرملة؟

– لو أن الأمر كذلك لما كنت الآن جالسة تستمعين إليّ وتساومينني. وابتسمت "**فرجينيا**" وسألته:

– ما هو الثمن الذي تطلبه؟

– ألف جنيه مقابل أن أعيد إليك الربطة كلها.. فقالت:

– ومن أين لي بهذه الألف؟ فقال في صرامة:

– سيدتي.. إنني رجل أكره المساومة.. ألف جنيه مقابل الرسائل. وتريثت "**فرجينيا**" برهة مفكرة ثم قالت:

– أمهلني فترة من الوقت أتدبر الأمر، فليس من الهين الميسور أن أجمع المبلغ في لحظة خاطفة. فقال:

– أعطيني الآن دفعة تحت الحساب.. خمسين جنيها، وسوف أزورك مرة أخرى. ورفعت "**فرجينيا**" بصرها إلى الساعة، فألفتها تجاوزت الرابعة بخمس دقائق، وخُيِّل إليها أنها سمعت جرس الباب يرن. وسارت إلى المكتب القائم في صدر الغرفة، وفتحت أحد الأدراج، وتناولت منه رزمة من أوراق البنكنوت، وناولتها إياه وهي تقول:

– هاك أربعين جنيهًا.. وعد إليّ غداً، ولكن في السادسة مساء، وأرجو أن تنصرف الآن.

وأخذ النقود من يدها في لهفة، ونهض واقفًا. ومن الباب المفتوح لمحت رئيس الخدم "**شيلفرز**" يمضي بالسيد "**جورج لوماكس**" إلى قاعة الاستقبال.

*****

وما إن انصفق الباب وراء الرجل المجهول حتى أقبلت "**فرجينيا**" على "**لوماكس**" تقول:

– أهلا بك يا "**جورج**".. ترى هل لمحت المبتز عند دخولك؟

– ماذا تعنين؟.. أتراك تمزحين يا عزيزتي.

– لست أمزح، فقد حدث هذا فعلا.. جاء يهددني ليبتز نقودي..

– ولكن ماذا فعلت حتى يهددك؟

– لم أفعل شيئا، ولكن الأمر التبس عليه فحسبني امرأة أخرى.

– وبالتأكيد اتصلت بالشرطة، أليس كذلك؟ فقالت تسأله:

– أترى أنه كان ينبغي أن أفعل؟ فأجاب في تردد:

– كلا.. كلا.. بل حسنا فعلت، وإلا ورطت اسمك في فضيحة تنشرها الصحف، وكان لابد أيضا أن تستدعيك المحكمة لأداء الشهادة. فقالت ضاحكة:

– ليتني استدعيت الشرطة، فإنني أحب أن أمثل أمام المحكمة.. إن في ذلك إثارة تستهويني، فطالما قرأت في الصحف عن القضاة وغبائهم، ولكم تمنيت أن ألتقي بواحد منهم.

– ولكن ماذا فعلت مع هذا الوغد؟ فهزت كتفيها بلا اكتراث وأجابت:

– تركته يبتزني؟

– ماذا تقولين؟.. أتركته يبتز نقودك؟.. ألم تصححي له خطأه وتفهميه أنك لست المقصودة؟

فهزت رأسها نفيًا، وعيناها تتألقان، فقال:

– يا إلهي!.. لابد أنك جننت يا "فرجينيا"، ولكن لماذا لم تطلعيه على الحقيقة؟

– لأسباب عديدة: أولا– لأنه فنان في ابتزازه، وإني أكره أن أفسد على أحد براعته في فنه.. وثانيًا– لأن أحداً لم يحاول من قبل أن يبتز نقودي، فأردت أن أعرف كيف يتم الأمر.. إنها تجربة شائقة مثيرة.

– أتعنين أنك أعطيته نقوداً؟

– نعم، أعطيته مبلغًا تافهًا.. أربعين جنيهًا.

– يا إلهي!.. أتراك فقدت صوابك؟

– وما أهمية هذا المبلغ الضئيل؟ إنني أدفع أضعاف ذلك في فستان للسهرة، فكيف أضن بأربعين جنيها مقابل الإثارة التي عشتها لحظات؟ وهز "لوماكس" رأسه في غضب، وأردفت "فرجينيا":

– وثمة سبب آخر يا عزيزي "جورج".. لو أن هذا المبتز عرف أنني لست "فرجينيا ريفيل" المقصودة لمضى من فوره يبحث عن المرأة الأخرى صاحبة الرسائل الغرامية، وقد يقدم على خطوة متهورة تهدم حياة هذه المسكينة. فخطر لي أن أنقذها من براثنه. فتنهد "جورج لوماكس" في أسى وقال:

– الحق أنني في بعض الأحيان لا أستطيع أن أفهمك يا "فرجينيا".. إنك تحيرينني. فأطلقت ضحكة مرحة وقالت:

– على أية حال دعنا من هذا الموضوع، فإنك ما جئت تزورني لنتحدث عن الابتزاز والمبتزين.. ما الذي جاء بك يا "جورج"؟.. ستلقي إليّ بالتأكيد بالإجابة المعهودة المألوفة.. ستقول: «لكي أراك».. ثم تضغط على يدي لتؤكد إجابتك، أليس كذلك؟.. فقال "جورج" في لهجة جادة:

– لقد جئت فعلا لكي أراك. فقالت في مرح:

– ويحك يا "جورج".. تلك مفاجأة لم أكن أتوقعها.. هل تنوي أن تطلب يدي؟

– جئت أسألك خدمة يا "فرجينيا".. إنني دائمًا أعتبرك سيدة ذات فتنة وسحر لا يقاوم.

– أحقًّا يا "جورج"؟.. إنك تحاول أن تدير رأسي..

– كما أنك امرأة ذات ذكاء متوقد.

– يا إلهي!.. هذا الإطراء يكاد يذهب بصوابي. واستطرد "لوماكس":

– غداً سيصل إلى "إنجلترا" شاب أريد منك أن تتعرفي إليه، وأن تغرقيه في فتنتك.

– ألا تعلم يا عزيزي "**جورج**" أنني لا أحترف إغراق الناس في سحري؟.. إن الرجال يميلون إليّ، وفي بعض الأحيان أميل أنا إليهم، ولكنني لا أملك أن أسعى إلى رجل غريب فأحتويه بفتنتي عامدة متعمدة.. إن هذه المهنة لا تروقني ولا تطيب لي، وهناك غانيات يحترفن هذه المهنة فلم لا تلجأ إليهن؟

– ليس إلى هذا قصدت يا "**فرجينيا**".. هذا الرجل شاب كندي يدعى "**ماك جراث**"، وهو من طراز لم يندمج في المجتمعات الإنجليزية، وأريد له أن يلتقي بك؛ لأنك نجمة المجتمع الإنجليزي الراقي وإني... فقاطعته:

– ولكن لماذا؟.. ما الداعي؟.. لماذا تريد مني أن أفتنه وأسحره؟ فأجاب في شيء من الضيق:

– إن لي هدفا. ولكن دعك مما أهدف إليه، فهذا سري الذي أحتفظ به.

– هل تعتقد إذن أنني أرضى أن أمضي سهرتي أوقع المسكين في شباك سحري وأنا أجهل السبب؟.. هيا يا عزيزي "**جورج**" اكشف لي سرك.. فتململ "**جورج لوماكس**" قليلا ثم أجاب:

– إن الأمر يتعلق بالسياسة العليا.. إنني أريد منك أن تقنعي هذا الشاب بأن عودة الملكية إلى إحدى دول "**أوربا**" الشرقية أمر حيوي بالنسبة إلى مصالح حكومة جلالة الملك، ولعدم نشوب الحرب في "**أوربا**".

– لعلك تقصد بذلك عودة الملكية إلى "**هيرزوسلوفاكيا**"؟

على أية حال من يكون هذا الرجل؟.. وما أهمية اقتناعه أو عدم اقتناعه بها؟ ومن يكون الأمير الذي ترشحه حكومتنا لتنصبه ملكًا على تلك البلاد؟ وتردد "**جورج لوماكس**" برهة، وأخذ يتدبر الأمر مفكرا..

لقد أخطأ في اختياره "**فرجينيا ريفيل**" للقيام بهذه المهمة.. إنه يعرف أنها متوقدة الذكاء، ولكن تصرفها مع ذلك المبتز يدل على أنها امرأة طائشة لا تصلح للمهام الكبرى.. إنها امرأة لا يمكن الاعتماد عليها، وقد تقدم على

تصرف أرعن يفسد الأمر كله، الأولى به أن يكتم سره دونها؛ ولذلك اكتفى بأن أجاب عن أسئلتها بقوله:

– الأمير المرشح ملكا هو البرنس "**ميشيل أوبولوفيتش**"، ولكن فلندع الأمر عند هذا الحد.

فهزت كتفيها في استخفاف وقالت:

– أو حسبت أنك بهذا كشفت لي سرًّا خفيًّا لا اعرفه؟.. إن الصحف حافلة بهذه الأنباء، وفيها تلميحات جلية إلى الموضوع، وفي كل يوم تدبج المقالات المنافقة التي تصف الملك "**نيقولا الرابع**" الذي اغتيل على أنه قديس، في حين أننا جميعا نعرف أنه كان طاغية سفاكا للدماء وأن أي فرد من أسرته لابد أن يكون على طرازه وحشًا متخفيًا في زي القديسين. وقال في اقتضاب وهو ينهض واقفًا:

– صدقت يا عزيزتي "**فرجينيا**".. ما كان ينبغي أبدًا أن أتقدم إليك باقتراحي، فلننس كل ما ذكرته لك.

فأطلقت ضحكة رنانة وقالت في مرح:

– لك أن تنسى إذا شئت، أما أنا فلن أنسى شيئًا.. وعندما أذهب إلى قصر "**شيمنيز**" في عطلة نهاية الأسبوع لابد أن أكشف سر السيد "**ماك جراث**".

فهتف في يأس:

– وهل أنت ذاهبة إلى "**شيمنيز**"؟..

لقد كان في نيته أن يتصل بالأمير "**كاترهام**" فور انصرافه ليطلب إليه ألا يدعو السيدة "**ريفيل**" إلى الحفل الذي سيقام في القصر، ولكن يبدو أن الزمام أفلت منه. واستطردت "**فرجينيا**":

– لقد اتصلت بي "**باندل**" تليفونيًّا هذا الصباح ودعتني إلى قضاء العطلة في قصرها.

وبذل "جورج" مجهوداً أخيراً لكي يقول:

– لو أنني مكانك لما لبيت الدعوة؛ إذ لا شك عندي أنها ستكون عطلة مملة سخيفة. فضحكت "فرجينيا"، وتطلعت إلى عينيه وقالت:

– عزيزي "جورج".. إنك رجل لا تجيد الكذب والمواربة، فلم لا تصارحني بالحقيقة كلها؟ فأجاب:

– ولكني صارحتك بكل ما لدي. ومد إليها يده مصافحا، فقالت:

– اسمع يا عزيزي "جورج".. إنني ذاهبة هذا الأسبوع إلى قصر "شيمنيز".. وفي "شيمنيز" سأستغل كل فتنتي كما قلت أنت، ولهذا لن يكون عسيراً عليّ أن أكتشف سر صديقك السيد "ماك جراث".. والآن أرجو أن تبتسم ولا داعي لهذه التقطيبة الحزينة. ومال فوق يدها يلثمها، ثم استدار منصرفا. وبادرت إلى التليفون واتصلت بقصر "شيمنيز"، وطلبت أن تتحدث إلى السيدة "إيلين برانت".

– أهذه أنت يا عزيزتي "باندل"؟.. حسناً.. إنني لن أنتظر إلى نهاية الأسبوع، وإنما سأحضر إليك صباح الغد. بالتأكيد.. كنت متأكدة من أنك سترحبين بتبكيري بالحضور. شكراً لك.. إلى اللقاء.

ووضعت السماعة مكانها وهي تقول لنفسها: «مهلا يا عزيزي "جورج".. سوف ألقنك درسا وأعلمك الا تكذب عليّ، وألا تخفي عني شيئا».

- 7 -

إذن فقد اختفت حزمة الرسائل الغرامية!.. ولم يغب عنه أن "جيوسيب" أخطأ الهدف، فهو دون شك كان يبغي مذكرات الأمير "أستيل بيتش"، ولكن المذكرات كانت تحت وسادته، فلما عثر في الحقيبة على حزمة الرسائل الغرامية حسبها المذكرات فاستولى عليها.

ولم يداخله شك في أن "**جيوسيب**" عضو في "رفاق اليد الحمراء"، أو لعله مندوب عن الحزب الملكي، وهذه الرسائل لن تفيد "الرفاق" أو "أنصار الملكية" بشيء، ولهذا خطر له أن ينشر إعلانًا في الصحف يدعو فيه السارق إلى إعادة الرسائل إليه مقابل مكافأة مالية مجزية، وسوف يرحب "**جيوسيب**" بهذه الفرصة. وما إن صحا "**أنتوني**" في الصباح حتى طلب مقابلة مدير الفندق، واستقبله الرجل الفرنسي مرحبًا، فقال له "**أنتوني**":

– لقد نزلت في فندقك بعد ظهر أمس، وحمل إليّ العشاء في غرفتي خادم يدعى "**جيوسيب**". وحدث في أثناء الليل أن صحوت على حركة خفيفة، فأضأت النور، ورأيت هذا الخادم نفسه مكبا على حقيبتي يفتشها.

فبدا الاهتمام في وجه المدير وقال في دهشة:

– ولكني لم أسمع عن هذا الحادث إلا منك الآن.

– هذا لأنني لم أشأ إبلاغ الشرطة أو إدارة الفندق..

وقد دار بيننا صراع شديد، وكان "**جيوسيب**" مسلحًا بمدية، وانتهى الأمر بأن فر هاربًا عن طريق النافذة.

– وهل سرق منك شيئًا يا سيد "**ماك جراث**"؟

– نعم، ولكنه شيء ليس له أهمية.

فتنهد الرجل ارتياحًا وقال:

– يسرني أن أسمع ذلك. ثم أردف:

– ولكن اسمح لي يا سيد "**ماك جراث**" أن أقول إن شيئًا في سلوكك يثير دهشتي.. لماذا لم تصرخ مستنجدًا؟.. ولماذا لم تحاول أن تطارد اللص؟

– ولماذا أطارده والشيء الذي سرق لم يكن ذا قيمة؟ فضلا عن أن الرجل كان قد أحكم دون شك خطته للفرار.

– رأي صائب يا سيد "**ماك جراث**"، وأنا نفسي أمقت تدخل الشرطة حتى

لا تسوء سمعة فندقي . .

– وهذا هو رأيي . . ولكن اللص سرق مني شيئًا له قيمة شخصية كبيرة عندي، وإن لم يكن ذا قيمة مالية . . لقد سرق حزمة من الرسائل. فهز مدير الفندق رأسه قائلا:

– آه! الآن فهمت.

– ولابد لي من أن أسترد هذه الرسائل.

– ولكن ما هو دوري في هذا؟ . . فأجابه "أنتوني" في حزم واقتضاب:

– أريد أن تزودني بما لديك من معلومات عن الرجل. وسارع المدير إلى إحضار ملف الرجل.

منذ ثلاثة أشهر التحق "جيوسيب مانيلي" بخدمة الفندق، وأبدى مهارة فائقة في أداء عمله. وكان قد أمضى في "إنجلترا" خمسة أعوام عمل خلالها في فنادق مختلفة. ولكن الذي استرعى انتباه "أنتوني" أنه حدثت في ثلاثة من هذه الفنادق سرقات خطيرة أثناء التحاق "جيوسيب" بها، وإن لم تتطرق إليه الشبهة.

وشكر "أنتوني كيد" مدير الفندق على ما زوده به من معلومات، وقال متسائلا وهو يهم بالانصراف:

– لا داعي بالتأكيد لأن أسألك عما إذا كان "جيوسيب" لايزال في الفندق.

فأجاب الرجل باسمًا:

– إنه لم يبت ليلته في الفندق، فقد كان فراشه منسقًا لم يمس.

ومضى "أنتوني" إلى غرفته، وحرر إعلانًا بعث به إلى خمس من الصحف يعد فيه من استولى على الرسائل بأن ينقده مكافأة مجزية إن هو أعادها.

وقبل أن يغادر غرفته رن جرس التليفون فتناول السماعة وسمع صوتًا يتساءل:

– هل أنت السيد "ماك جراث" يا سيدي؟ فأجاب:

– نعم.

– هذه شركة "**بالدرسون وهودكينز**" للطباعة والنشر.. لحظة واحدة يا سيدي حتى أحول الخط إلى السيد "**بالدرسون**". وقال "**أنتوني**" لنفسه:

– آه! إنها الشركة المفروض أن أسلمها مذكرات الأمير "**أستيل بيتش**".. لا شك في أنهم يتعجلون الأمر، وإن كان لايزال هناك أسبوع على الموعد المقرر.

وجاء صوت آخر يقول:

– أنا "**بالدرسون**".. طاب صباحك يا سيد "**ماك جراث**" ما الذي تم في أمر المذكرات؟

– وماذا تبغي منها يا سيد "**بالدرسون**"؟

– لقد علمت أنك وصلت إلى "**إنجلترا**" قادمًا من "**جنوب إفريقيا**"، وانتظرت زيارتك لنا بفارغ الصبر، لعلك لا تدرك حقيقة الموقف يا سيد "**ماك جراث**".. لقد أثارت هذه المذكرات العديد من المشاكل، ولطالما تمنيت لو أني لم أتعهد بنشرها.

– حقًّا؟

– إني متلهف إلى الحصول على المذكرات في أقرب وقت ممكن لأنسخ منها عدة صور، فإذا سرق الأصل كانت لدينا الصور.

– وهل تتوقع شيئًا من هذا؟

– بكل تأكيد يا سيدي.. هناك من يبذلون قصارى جهدهم لكي يحولوا دون وصول هذه المذكرات إلى شركتنا.. إنني لا أريد أن أفزعك، ولكني أعتقد أنهم سيتربصون بك عند حضورك إلى الشركة لمهاجمتك والاستيلاء على المذكرات.

– إنهم إذن يجهلون مدى قدرتي على الدفاع عن نفسي.

– لا تكن مسرفًا في التفاؤل يا سيدي، فإنك إزاء طغمة خطرة لا تتورع عن

شيء.. أتدري يا سيد "ماك جراث" أنهم حاولوا تهديدنا ورشوتنا ليحولوا دون نشرها؟.. اسمع.. إنني أرى ألا تحضر بنفسك إلى مقر الشركة حتى لا تتعرض للمخاطر، ولهذا سأوفد إليك مندوبًا يتسلمها منك ويقدم إليك الشيك الموعود بألف جنيه.

– وهب أن العصابة عرفت بالأمر وهاجمت مندوبكم؟

– تلك مسؤوليتنا نحن لا مسؤوليتك أنت.. ومع ذلك فقد اتخذت الحيطة، فإن مندوبنا السيد "هولمز" سيخرج من بيته إلى الفندق مباشرة صباح غد دون أن يمر بالشركة تفاديًا لإثارة الانتباه.. وأقترح عليك أن تودع في خزانة الفندق لفافة مزيفة فينخدع من يراقبك ويحسبها المذكرات، وتتفادى أن يقتحموا غرفتك الليلة، بينما تحتفظ في جناحك بالمذكرات الحقيقية إلى أن يحضر إليك مندوبنا.

وألفى "أنتوني" أن هذا كلام منطقي معقول فقال:

– فليكن إذن.. سأكون في انتظار مندوبكم غدًا صباحًا.

*****

وفي الصباح حمل إليه أحد الخدم بطاقة السيد "هولمز" مندوب شركة "بالدرسون وهودكينز" للطباعة والنشر، فأمر به أن يصعد إلى غرفته. وسلمه "أنتوني" المذكرات فدسها في حافظته، وقدم إليه الشيك، ثم شد على يد "أنتوني" مصافحًا وبادر إلى الانصراف. وجمع "أنتوني" متاعه، ودفع حساب الفندق، وأمر باستدعاء إحدى سيارات الأجرة، وعلى الدرج لحق به أحد الخدم، وناوله خطابًا جاءه منذ لحظات. وفض "أنتوني كيد" الخطاب والسيارة منطلقة به. وراح يقرؤه، وقد استبدت به الدهشة.

كان الخطاب يحمل الأختام الحكومية، وجاء فيه أن وزير الخارجية السيد

"**جورج لوماكس**" يعلم أن السيد "**ماك جراث**" جاء إلى "**إنجلترا**" من "**جنوب إفريقيا**" ومعه مذكرات الأمير "**أستيل بيتش**" ليسلمها إلى إحدى دور النشر، وأن السيد "**لوماكس**" يرجوه أن يتريث حتى يتقابلا ويناقشا الأمر معًا. وكانت مع الخطاب دعوة موجهة إليه لقضاء عطلة الأسبوع في قصر "**شيمنيز**" ضيفًا على الأمير "**كاترهام**".

ومضى "**أنتوني**" إلى أحد الفنادق فحجز غرفة باسمه الحقيقي، وكتب ردًّا على الخطاب، أبدى فيه أسفه؛ لأنه سلم المذكرات فعلا إلى شركة النشر، كما اعتذر عن تلبية دعوة الأمير "**كاترهام**" لاعتزامه مغادرة "**إنجلترا**" في الحال.

- 8 -

بعد ظهيرة نفس اليوم- الخميس- كانت "**فرجينيا ريفيل**" تلعب التنس في نادي "**رينلاي**". وفي طريق العودة إلى دارها تلاعبت على شفتيها ابتسامة مرحة؛ إذ أخذت تتمثل الحديث الذي يجري بينها وبين ذلك المبتز عندما يحضر إلى زيارتها في السادسة مساء، طبقا للموعد الذي ضربته له.

لقد حسبها سهلة حين أذعنت لمطالبه، ونقدته أربعين جنيهًا دفعة تحت الحساب. أما الآن فسوف تلقاه بمفاجأة تذهله وتدهشه. وتوقفت بها السيارة أمام باب البيت، ومالت إلى سائقها تقول:

- كيف حال زوجتك يا "**والتون**"؟.. يؤسفني أنني غفلت عن الاستفسار عنها.

- إنها أحسن حالا يا سيدتي.. لقد وعد الطبيب بأن يعودها اليوم مرة أخرى في السادسة والنصف. ثم أردف:

- هل ستحتاجين إلى السيارة الليلة يا سيدتي؟ وتريثت "**فرجينيا**" برهة مفكرة، ثم أجابت:

- إنني أنوي قضاء عطلة الأسبوع خارج المدينة، وسأذهب بسيارة الأجرة إلى المحطة، فلن أكون في حاجة إليك، فلك أن تمضي لتنتظر الطبيب.

وصعدت "فرجينيا" درج السلم الخارجي، وتوقفت أمام الباب تنبش في حقيبتها عن المفتاح، ثم ما لبثت أن ذكرت أنها نسيته في غرفتها، فمدت أصبعها إلى زر الجرس وضغطته مترقبة أن يفتح لها رئيس الخدم الباب.

ورأت شاباً يرتقي الدرج الخارجي متجها إليها. كانت ثيابه رثة من طراز عتيق، وكان يحمل في يده رزمة من الأوراق بسط إليها ورقة منها يتصدرها عنوان مكتوب بالخط العريض هذا نصه: «لماذا ضحيت بنفسي من أجل بلادي؟».. وكان بيده اليسرى صندوق صغير لجمع التبرعات. وقالت "فرجينيا":

- يا إلهي..! لقد اشتريت إحدى هذه القصائد صباح اليوم، ولا أستطيع أن أشتري قصيدتين في يوم واحد من هذه القصائد البشعة المكسورة الأبيات. ورد الشاب رأسه إلى الوراء وضحك، وجارته "فرجينيا" في ضحكاته وهي تصعده ببصرها.. لقد راق في عينيها، ورأت في وجهه طرازاً جديداً يختلف عن أولئك العاطلين الذين يطرقون بابها كل يوم، فعيناه تنمان عن الذكاء، وملامحه توحي بالاعتداد وقوة العزيمة، وودت لو أنها هيأت له عملا يرتزق منه. وفي هذه اللحظة فتح الباب، وعندئذ نسيت "فرجينيا" كل شيء عن الرجل العاطل حين وجدت أن وصيفتها "إيليز" هي التي فتحت لها الباب فابتدرتها متسائلة وهي تخطو إلى البهو:

- وأين "شيلفرز"؟.. لماذا لم يفتح الباب؟ وأجابت الوصيفة:

- لقد ذهب مع الآخرين.

- ذهب مع الآخرين؟.. إلى أين؟..

- إلى "داتشيت" يا سيدتي.. إلى كوخ المصيف؛ تنفيذاً لما جاء في برقيتك.

فقالت "فرجينيا" في دهشة:

– برقيتي؟!

– ألم ترسل سيدتي برقية إلى "شيلفرز"؟.. لقد وصلت البرقية منذ ساعة تقريبا.

– ولكنني لم أرسل أية برقية.

– إنها لا تزال هناك.. في المطبخ.

وسارعت "إيليز" منسحبة، وعادت بعد لحظات تحمل البرقية. وكانت البرقية موجهة إلى "شيلفرز":

«أرجو أن تذهب بالخدم جميعًا إلى كوخ المصيف في الحال، واتخذ الترتيبات لقضاء العطلة هناك.. اركب قطار الخامسة إلا عشر دقائق». وقالت "إيليز":

– أما أنا فرأيت أن أبقى حتى أحزم الحقيبة لسيدتي. وقذفت "فرجينيا" بالبرقية وهي تقول في غضب:

– إنها مزحة سخيفة يا "إيليز"، فإنك تعرفين أنني أنوي قضاء عطلة الأسبوع في قصر "شيمنيز".

– لقد حسبت أن سيدتي عدلت عن رأيها.

وفجأة هتفت الوصيفة الفرنسية وقد ارتسمت أمارات الذعر على وجهها:

– يا إلهي!.. ألا تكون هذه البرقية من تدبير اللصوص؟.. يبعثون بالبرقية حتى يخلو البيت من الخدم، ثم يسطون عليه؟ فقالت "فرجينيا" في شيء من الشك:

– ربما.

– أتوسل إليك يا سيدتي أن تتصلي بالبوليس.

– وما الداعي؟.. كفى سخفًا يا "إيليز".. هيا اصعدي وأعدي حقيبتي لنسافر إلى "شيمنيز"، وأسرعي من فضلك فإني أريد أن ألحق بالقطار بعد

ساعة.. وسأبعث ببرقية إلى "شيلفرز" ليعود في الحال.

واتجهت "فرجينيا" إلى غرفة المكتب لتتصل بالشرطة، فلعل "إيليز" على صواب فيما رأته.

*****

فتحت "فرجينيا" الباب، ومشت إلى التليفون، وما إن استقرت يدها على السماعة حتى جمدت في مكانها.

كان هناك رجل جالس في المقعد الكبير، وقد مال رأسه فوق صدره. لا شك أنه زائرها المبتز جاء في الموعد وجلس يترقب عودتها، فأخذته سنة من النوم، وتحولت إليه وعلى شفتيها ابتسامة عابثة، ولكن الابتسامة ما لبثت أن اضمحلت وتلاشت. لم يكن الرجل نائما، وإنما كان ميتًا.

لقد وضح لها الأمر في الحال حتى دون أن تلمسه، وحتى قبل أن تلمح المسدس الملقى على الأرض عند قدميه، وحتى قبل أن تستقر عيناها على البقعة الصغيرة الداكنة في قميصه فوق موقع القلب.

تسمرت مكانها، وراحت تتأمل الرجل في ذهول.

وعادت تتطلع إلى الرجل، ثم استدارت إلى التليفون.. لابد أن تبلغ البوليس بلا إبطاء أو تردد. ومع ذلك فإنها ترددت. ما سر هذه البرقية الزائفة؟.. هل لها صلة بهذا الحادث المروع؟.. وما هي الاحتمالات المتوقعة؟ رجل جاء يبتز مالا، وحددت له موعدا للقاء، ثم إذا به قتيل في غرفة مكتبها! كيف تفسر الأمر للشرطة؟.. ألا يخطر ببال أحدهم أنها هي التي قتلته؟.. إنها حقيقة ليست صاحبة الرسائل الغرامية، ولكن هل تستطيع يا ترى أن تقيم الدليل على هذا؟ أليس من المحتمل ألا تكون الرسائل موجودة الآن في جيب الرجل؟

وألقت براحتها على جبهتها تعصرها في يأس وحيرة، وهي تردد لنفسها في

صوت خافت: «يجب أن أتروى في الأمر؟.. يجب أن أتروى».

ولكن من الذي أدخل الرجل إلى البيت؟.. لو أنها "**إيليز**" هي التي أذنت له بالدخول لأخطرتها.

رباه!.. ما العمل؟.. ما العمل؟.. يبدو أنه لا مفر من إبلاغ الشرطة.. ولكن لا.. فلتتريث في هذا قليلا.. لماذا لا تتصل بـ"**جورج لوماكس**" وتدعوه إلى الحضور وتستطلع رأيه؟..

بيد أنها انصرفت عن هذا الرأي، فـ"**جورج**" هو وزير الخارجية، ومكانته الاجتماعية لا تسمح له بأن يتورط في جريمة قتل.

إذن فلتتصل بسكرتيره ذلك العزيز "**بيل**". فلعله أقدر على معالجة مثل هذه الأمور. وقيل لها إن "**بيل**" سافر إلى قصر "**شيمنيز**" منذ نصف الساعة. وعندئذ رن جرس الباب الخارجي.

*****

وما إن سمعت "**فرجينيا**" رنين جرس الباب حتى أجفلت واعتراها الاضطراب، وعاد الجرس يرن مرة أخرى، إن "**إيليز**" في الطابق الأعلى تحزم الحقائب، والرنين لا يمكن أن يبلغ مسامعها.

وخرجت "**فرجينيا**" إلى البهو، ورفعت السلسلة وسحبت المزلاج، ثم فتحت الباب. وهناك على درج السلم كان ذلك الشاب العاطل الذي لقيها أمام الباب عند عودتها ليبيع لها قصيدة من الشعر على سبيل الاستجداء.

وتطلعت إليه "**فرجينيا**" برهة، ثم قالت:

– ادخل.. وقد أعهد إليك بعمل ما.

ودخل الشاب في أعقابها، فمضت به إلى قاعة المائدة ودعته إلى الجلوس، ثم قالت له:

– اسمع.. إن لدي لك عملا.. إنه طبعا ليس عملا مستديمًا، وإنما مجرد مهمة.. ويجب أن أصارحك بأنها مهمة شاذة. فارتسمت على شفتيه ابتسامة عابثة وقال:

– لعلك تقصدين أنها مهمة غير مشروعة؟ إن المهام المخالفة للقانون تروقني. فقالت:

– إنني في مأزق.. مأزق خطير.. وجميع أصدقائي من ذوي المناصب الكبيرة، فلا أحب أن أورطهم في الأمر.

فقال في بساطة:

– أما أنا فلا شيء لدي أخسره أو أخاطر به.. هيا حدثيني عن هذا المأزق. فأجابت في اقتضاب:

– في الغرفة المجاورة رجل ميت.. مقتول، ولا أدري ما عساي أن أصنع به؟ فقال الشاب في حماس وانفعال:

– رائع!.. رائع جداً!.. لقد طالما تمنيت أن أقوم بدور الشرطي السري. والآن حدثيني بالوقائع. فقالت:

– بالأمس حضر هذا الرجل إلى بيتي لأول مرة وطلب مقابلتي. وكانت معه حزمة من الرسائل. رسائل غرامية طبعًا.. مذيلة باسمي.. فقال الشاب في هدوء:

– ولكنك لست صاحبتها. فتطلعت إليه "فرجينيا" في دهشة وقالت:

– وكيف عرفت هذا؟!

– مجرد استنتاج.. "شرلوك هولمز" بارع في الاستنتاج. واستطردت "فرجينيا":

– وقد أراد الرجل أن يبتز نقودي، وطاب لي أن أجاريه وإن لم أكن أنا صاحبة الرسائل.. إنك طبعًا لا تستطيع أن تفهم لم فعلت هذا.

– بل أفهم.. لون جديد من الإثارة أردت أن تجربيه.

– تماماً.. وقد نقدته بالأمس أربعين جنيهاً دفعة تحت الحساب، وطلبت إليه أن يعود اليوم لزيارتي في السادسة مساء.. وعند عودتي من نادي "رينلاي" عرفت أنه وصلت إلى رئيس الخدم برقية مزورة أدعوه فيها إلى الذهاب مع جميع الخدم إلى كوخي الصيفي، فلم أجد في البيت إلا وصيفتي الخاصة "إيليز". وعندما دخلت إلى غرفة المكتب وجدت الرجل المبتز جالساً على أحد المقاعد، ولكنه جثة هامدة، مقتولا برصاصة مستقرة في قلبه.

فسألها الشاب:

– ومن الذي أدخله إلى البيت؟

– لا أعلم، فلو أن وصيفتي هي التي أذنت له لأخطرتني فور قدومي.

– وهل علمت وصيفتك بما حدث؟

– لم أخبرها بشيء.. حتى الآن. ونهض الشاب واقفاً وهو يقول:

– والآن هيا بنا، فإني أريد أن أرى الجثة. وسألته وهي تتقدمه إلى غرفة المكتب:

– أترى أنه ينبغي أن أخطر الشرطة؟

– سنتحدث في هذا فيما بعد.. فقالت:

– وبهذه المناسبة.. إنك لم تذكر لي اسمك حتى الآن. فأجاب:

– إنني أدعى "أنتوني كيد".

- 9 -

جاء "أنتوني كيد" ينشد مقابلة "فرجينيا ريفيل" ليخطرها بأن الخادم الإيطالي سطا على غرفته، وسرق رسائلها الغرامية التي كان بسبيل إعادتها إليها، ولكن ها هي ذي الأمور قد تطورت واتخذت سبيلا آخر.

ومال "أنتوني" فوق الجثة يلمسها ويفحصها، ثم رفع رأسه قائلا:

– الجثة ما زالت دافئة.. لقد قتل منذ أقل من نصف الساعة. فقالت "فرجينيا":

– إذن فقد قتل قبيل وصولي مباشرة. وتريث "أنتوني كيد" برهة مفكرًا ثم قال:

– وصيفتك لم تدخل بالتأكيد إلى هذه الغرفة؟

– كلا.. لم تدخلها. وهز "أنتوني" رأسه في أسى فسألته:

– أترى موقفي حرجًا؟ فأجاب:

– إنه سوء حظ، فلو أنك عثرت على الجثة ووصيفتك معك فور عودتك من الخارج لكان من المسلم به أن الرجل قُتل قبل عودتك. فقالت:

– أما الآن فقد يقال إنه قُتل "بعد" عودتي. وعادت "فرجينيا" تسأله:

– يبدو من سحنته أنه إيطالي الجنسية؟

– إنه إيطالي فعلا، وأستطيع أن أضيف أنه يعمل خادمًا، وفي أوقات الفراغ يمارس الابتزاز وسرقة الفنادق.. ولعله يدعى "جيوسيب". فحملقت إليه "فرجينيا" وهي تهتف:

– يا إلهي! أتراك أبرع من "شرلوك هولمز"؟ فضحك "أنتوني" قائلا:

– كنت أعرف هذا الشخص من قبل بمحض المصادفة، وسوف أروي لك القصة فيما بعد. ثم أردف:

– لقد ذكرت لي أنك نقدت الرجل أربعين جنيهًا، وهذا شيء يؤسف له؛ لأنك بذلك تكونين قد ازددت تورطا في الأمر.. والآن أرجو أن تطلعيني على البرقية المدسوسة عليك. وجاءته بها، فقرأها ثم قطب جبينه، فسألته:

– ماذا جرى؟.. ماذا وجدت فيها؟

– إنها مرسلة من "بارنز".. ولقد كنت أنت بعد الظهر في نادي "رينلاي"،

وهو واقع في نفس المنطقة، فليس ثمة ما يحول دون أن تكوني أنت نفسك التي أرسلت البرقية. وشردت "فرجينيا" بخواطرها قليلا، فقد أحست أن الشبكة تنطبق عليها تدريجيًّا. وتناول "أنتوني" منديله ولفه حول يده، وأمسك بالمسدس وهو يقول:

– لكي نتفادى بصمات الأصابع. ثم تحول إليها فجأة وقال في صوت صارم النبرات:

– السيدة "ريفيل". هل سبق لك أن شاهدت هذا المسدس من قبل؟ فأجابت وقد حيرها ما اعترى صوته من تبدل:

– كلا.

– أتملكين مسدسًا؟

– كلا.. مطلقا.

– إذن كيف تعللين هذا؟

وبسط إليها يده بالمسدس، فإذا اسمها محفور على مقبضه: "فرجينيا". وصرخت "فرجينيا":

– هذا مستحيل.. مستحيل.. فقال:

– إن المسألة أخطر وأعمق مما نتصور.. والآن فلنحاول أن ننسق الأحداث، إن لدينا فرضين: أولهما أن "فرجينيا" الحقيقية، أي صاحبة الرسائل الغرامية، عرفت الأمر بطريقة ما فتعقبت الرجل وقتلته، وسرقت منه الخطابات وفرت هاربة.. فأمنت "فرجينيا" بقولها:

– هذا محتمل. واستطرد "أنتوني":

– والفرض الثاني أكثر طرافة وغرابة. فأيا كان أولئك الذين سعوا إلى قتل "جيوسيب" فقد أرادوا أن يورطوك في الجريمة وأن يلصقوا بك التهمة، فقد كان في وسعهم أن يقتلوه في أي مكان، ولكنهم حرصوا على أن يستدرجوه إلى

داخل بيتك، ثم يقتلوه. ثم أردف يسألها:

– هل لك أعداء يا سيدة "**ريفيل**"؟ فأجابت:

– كلا.. ليس لي أعداء على الإطلاق. وقال "**أنتوني**":

– والمشكلة الآن هي: ما الذي ينبغي أن نفعل؟.. إن أمامنا طريقين لا ثالث لهما: أولهما– أن نتصل بالبوليس.. وثانيهما– أن أحاول التخلص من الجثة وإخراجها من البيت– ومن ناحيتي فإنني أفضل الحل الثاني حتى نتحاشى التشهير بك في الصحف.. ثم استطرد:

– ولكن علينا قبل كل شيء أن نسترد الرسائل الغرامية، هذا إذا كانت لاتزال معه.

ومال "**أنتوني**" على الجثة يفتش جيوبها، ولكن لم يكن مع القتيل شيء من الرسائل الغرامية. وهتف **أنتوني**":

– لقد جردوه من كل شيء. ثم هتف:

– آه! هاك شيئًا عثرت به..

فقد لمست أصابعه ثقبًا في أحد الجيوب، وفي داخل الثقب أحس بملمس قصاصة صغيرة من الورق.

وأخرج القصاصة المكورة، وقرأ ما هو مسطور عليها: "**شيمنيز**" الخميس الساعة 11.45 دقيقة وقال معقبًا:

– إنه موعد فيما يبدو. وهتفت "**فرجينيا**":

– "**شيمنيز**"؟ هذا غريب. إنني ذاهبة الليلة إلى "**شيمنيز**". وحملق إليها "**أنتوني**" برهة ثم قال:

– لقد خطرت لي فكرة، ولعلي على صواب.. يبدو أن شخصًا ما يهمه أن يحول دونك والذهاب إلى "**شيمنيز**" فدبر هذه الجريمة ليبقيك هنا. فقالت:

– ابن عمي "**جورج لوماكس**" هو الذي حاول أن يقنعني بعدم السفر إلى

"**شيمنيز**"، ولكن من المستحيل أن يورط "**جورج**" نفسه في جريمة قتل. وغرق "**أنتوني**" برهة في خواطره ثم قال:

- إذا نحن أبلغنا البوليس فلا أمل لك في الذهاب الليلة إلى "**شيمنيز**" أو حتى غداً، إذ لابد أن يحتجزوك حتى يتم التحقيق، وإني أحب لك أن تسافري إلى "**شيمنيز**"، فإن هذه الخطوة كفيلة بأن تفسد تدبير أصدقائنا المجهولين وتقلب خططهم رأساً على عقب. ثم أردف:

- السيدة "**ريفيل**".. هل لك أن تضعي نفسك بين يدي وتكلي أمرك لي؟ فسألته:

- وما هي الخطة التي تنوي أن تنتهجها؟

- لن أبلغ الشرطة، وإنما سأحاول أن أتخلص من الجثة.. وأول خطوة لابد من اتباعها هي إبعاد وصيفتك الفرنسية عن البيت، فهل تستطيعين؟

- بكل سهولة.. ومضت "**فرجينيا**" إلى البهو، وسمعها تدعو إليها وصيفتها، ثم سمع الباب يوصد، ورجعت إليه ربة الدار قائلة:

- لقد انصرفت.. بعثت بها لتشتري عطراً معيناً، ووصفت لها متجراً في أقصى المدينة، وأخبرتها ألا داعي لعودتها، وإنما عليها أن تلحق بي في "**شيمنيز**". فقال "**أنتوني**":

- حسناً فعلت.. والآن علينا أن نبادر إلى التخلص من الجثة، فهل لديك حقيبة كبيرة؟

- نعم، تعال معي إلى القبو وتخير ما شئت.. ومضت "**فرجينيا**" إلى الطابق الأعلى فأبدلت ثيابها، وحين نزلت إلى البهو كان "**أنتوني**" في انتظارها وبجانبه حقيبة ضخمة، وفي الحقيبة جثة مكومة محشورة. وقال لها:

- والآن هاك تعليماتي.. استدعي سيارة أجرة، وانقلي إليها حقائبك بما فيها الحقيبة المعهودة، واذهبي إلى محطة "**بادنجتون**"، وأودعي الحقيبة مخزن

الأمانات. وسوف أكون في انتظارك على رصيف القطار، وعندما تمرين بجانبي أسقطي من يدك بطاقة الإيداع، فانحني لالتقاطها، وأتظاهر بإعادتها إليك، ولكنني في الواقع سأحتفظ بها في يدي. وبعد ذلك سافري إلى "شيمنيز" ودعي الباقي لي. فقالت "فرجينيا":

– إني شاكرة لك تدخلك، وإن أسفت على أن جعلتك تحمل جثة رجل ميت. فضحك "أنتوني كيد" وقال:

– لو أن صديقي "ماك جراث" هنا لأخبرك بأنني مولع بالمغامرات وحمل جثث الأموات.

وحملقت إليه "فرجينيا" وقد اتسعت عيناها دهشة. فقال:

– نعم. "جيمي ماك جراث".. أتراك سمعت باسمه من قبل..؟

– نعم.. بالأمس، ولأول مرة. ثم أردفت:

– السيد "كيد".. إني أحب أن أتحدث إليك حديثًا مهمًّا طويلا فهلا يمكنك أن تحضر إلى "شيمنيز"؟ فأجاب:

– سوف ألقاك هناك يا سيدة "ريفيل".. كوني على ثقة بهذا.. والآن فلتخرج المتآمرة الأولى من الباب الأمامي وتركب السيارة الأجرة، أما المتآمر الثاني فيخرج من الباب الخلفي الصغير، وبعدئذ يتقابلان على رصيف محطة "بادنجتون".

*****

ثم التقيا على رصيف المحطة، والتقط "أنتوني" بطاقة إيداع الحقيبة في مخزن الأمانات حين أسقطتها "فرجينيا" على الأرض، ثم غادر "أنتوني" المحطة، ومضى إلى أحد متاجر السيارات المستعملة فاشترى سيارة عتيقة من طراز "موريس" ليستخدمها في تنفيذ خطته.

رجع "**أنتوني**" إلى محطة "**بادنجتون**" راكبًا السيارة "**الموريس**"، ودخل إلى مخزن الأمانات، فقدم بطاقة الإيداع، وسحب الحقيبة التي تضم الجثة، فأودعها سيارته، ثم انطلق إلى إحدى ضواحي "**لندن**" المتطرفة، حتى انتهى إلى تقاطع الطرق بين "**هاونسلو**" و"**استينز**".

كانت المنطقة التي اختارها دائبة الحركة، وبذلك تختلط آثار العجلات فيستحيل على أبرع شرطي أن يميز من بينها علامات إطارات السيارة "**الموريس**".

أوقف "**أنتوني**" السيارة إلى جانب الطريق، وهبط منها، وتناول من الأرض قبضة من الطين طمس بها رقم السيارة، ثم وقف متريثًا يترقب لحظة انقطع فيها سيل السيارات المقبلة في اتجاهه، ثم فتح الحقيبة وأخرج منها جثة "**جيوسيب**"، ووضعها على حافة الطريق، عند منحنى لا تسقط عليه أضواء السيارات القادمة. ثم استقل سيارته وقفل راجعًا إلى "**لندن**". وللمرة الثانية أوقف سيارته عند مشارف الغابة، وغاب في أحشائها، ثم تسلق في خفة إحدى الأشجار الضخمة العالية، وأخرج من جيبه لفافة من الورق تضم المسدس الذي قتل به الجرسون الإيطالي، وأودع اللفافة فجوة وسط الأغصان. وارتد راجعًا إلى محطة "**بادنجتون**"، فأودع الحقيبة فارغة مخزن الأمانات، ولكنه كان حريصًا على أن يتخير مخزنًا أودعت به من قبل. وفي الحادية عشرة والنصف كان قد أوقف سيارته على جانب الطريق المتاخم لحديقة قصر "**شيمنيز**" في ركن منزو تتخطاه العيون.

وهبط من السيارة، واقترب من سور الحديقة، وتسلق الجدار، وقفز إلى الناحية الأخرى داخل الحديقة. وفي حرص وحذر أخذ يدنو من القصر في خطوات حذرة.

وإن هي إلا لحظات حتى أرسلت الساعة دقاتها رنانة عالية: إنها الحادية عشرة

وخمس وأربعون دقيقة. إنه الموعد المحدد الذي وجده مسطوراً على قصاصة الورق التي اكتشفها في أحد جيوب الجثة- جثة الخادم الإيطالي "**جيوسيب**". كان كل شيء ساكنًا، والظلام شاملا. وفجأة.. سمع دوي طلق ناري مكتوم. وأجفل "**أنتوني كيد**"، ووقف محملقًا إلى الظلام.

كان الطلق الناري صادراً من ناحية البيت، بل من داخل البيت ما في هذا شك أو ريبة.. وتريث مكانه برهة، ولكن السكون ظل مخيماً، فلم تفتح نافذة، أو تضاء إحدى الغرف، أو تسمع ضجة أو جلبة. واتجه من فوره إلى باب الشرفة الذي خُيّل إليه أن الطلق الناري صدر من ورائه. وأدار المقبض ولكن الباب لم يفتح.

وأخيراً قال لنفسه: «أغلب الظن أن الطلق الناري صدر من الغابة من بندقية أحد لصوص الصيد».

واستدار على عقبيه راجعًا إلى الطريق.

وفجأة انبثق نور من إحدى الغرف.. أضيئت الغرفة لحظة واحدة، ثم انطفأ النور من جديد، وعاد القصر يسبح في الظلام الدامس.

- 10 -

كانت الساعة تؤذن بالثامنة والنصف صباحًا حين دق جرس التليفون في قسم البوليس في "**ماركيت بيسنج**" وتململ الكونستابل "**جونسون**" في مقعده، وانتزع المفتش "**بادجويرثي**" نفسه من خموله وتناول السماعة متكاسلا، ثم ما لبثت هيئته أن تبدلت وتردد صوته قائلا:

– نعم يا سيدي الأمير.. فهمت يا سيدي الأمير.

ومضت برهة طويلة وهو ينصت، ثم رد السماعة مكانها، وقال لمساعده "**جونسون**":

– الأمير هو الذي تكلم.. الأمير "**كاترهام**"، لقد وقعت جريمة قتل في "**شيمنيز**".

وهتف الكونستابل "**جونسون**" مرتاعًا:

– يا إلهي..! جريمة قتل..! وفي "**شيمنيز**"..؟ فقال المفتش "**بادجويرثي**":

– لقد عثروا على جثة أحد الضيوف الأجانب مضروبًا بالرصاص.

– علينا إذن أن نبادر بالذهاب في الحال.

– وعلينا أن نصطحب معنا الدكتور "**كارترايت**".

وإن هي إلا دقائق حتى كان الثلاثة قد انحشروا في سيارة الطبيب الصغيرة متجهين إلى قصر "**شيمنيز**". وعندما مروا بفندق "**الكريكيت**" استرعى نظر الدكتور "**كارترايت**" رجل يقف في مدخل الفندق، فقال:

إنه غريب عن المنطقة.. ترى ما الذي جاء به إلى فندق "**الكريكيت**"؟ ومتى جاء؟ فقال "**الكونستابل**":

– إنه على أية حال لم يأت بالقطار.

كان أخوه هو قارض التذاكر في المحطة، وكان دائما يخطر أخاه الشرطي بكل وافد إلى البلدة. وسأله المفتش:

– ومن هم ضيوف الأمير الذين جاءوا بالأمس؟ فأجاب:

– السيدة "**إيلين**" ومعها سيدان أحدهما أمريكي الجنسية والآخر ضابط شاب، وقد وصلوا بقطار الثالثة وأربع دقائق. وجاء الأمير بقطار الخامسة وأربعين ومعه سيد أجنبي السحنة لعله هو القاتل، وكان مع الأجنبي وصيفه الخاص. ووصل السيد "**إيفرسلي**" بنفس القطار. أما السيدة "**ريفيل**" فجاءت بقطار السابعة وخمس وعشرين دقيقة، وكان في نفس القطار سيد «أجنبي» أصلع الرأس، ذو أنف معقوف، يهودي فيما أعتقد.. أما وصيفة السيدة "**ريفيل**" فجاءت بقطار الثامنة وست وخمسين دقيقة. فقال المفتش:

- إذن فنزيل فندق "**الكريكيت**" لم يأتِ بالقطار.. إنه يبدو ملوح البشرة، فلابد أنه قادم من إحدى البلاد الاستوائية. وتلقاهم الأمير "**كاترهام**" فور وصولهم بقوله:

- يا لها من كارثة! ضيوفي يقتلون في قصري..؟ وقال الدكتور "**كارترايت**" :

- وأين الجثة؟ فأجابه الأمير:

- في قاعة الاجتماعات. وتساءل المفتش:

- ومن الذي اكتشف الجثة؟

- إحدى الخادمات.

- وما اسم القتيل يا سيدي الأمير؟ وغشيت وجه الأمير بادرة من التردد، ثم أجاب:

- الاسم الذي نعرفه به هو الأمير "**استانيسلوس**" .

وكان هذا- من الأمير- أسلوبًا غريبًا في الإجابة. وفتح الباب في هذه اللحظة ودخلت السيدة "**إيلين برانت**" الابنة الكبرى للأمير "**كاترهام**"، والتي يلقبها أصدقاؤها باسم "**باندل**" . فهتفت بأبيها في حيوية وإشراق:

- وأخيراً عثرت عليه وأخطرته بما حدث..

- أحسنت.. وماذا قال..؟

- قال إنه قادم في الحال، ولكنه طلب إلينا أن نتكتم الأمر.

- هذا ما كنت أتوقع منه.. تلك عادة "**جورج لوماكس**" دائمًا.. ولكن كيف نتكتم وجود جثة في البيت؟

ووقف المفتش "**بادجويرثي**" يتأمل الغرفة ويدير عينيه في أرجاء المكان. وجثا الدكتور "**كارترايت**" بجانب الجثة وأخذ يفحصها، على حين مشى المفتش إلى نوافذ الغرفة يتأملها واحدة بعد الأخرى.. كانت جميعها موصدة

عدا النافذة الوسطى إذ لم تكن مغلقة بالمزلاج، على الرغم من أنها كانت مطبقة المصراعين.

وعلى الدرجات المفضية إلى النافذة كانت آثار الأقدام واضحة صاعدة إليها، ثم مرتدة راجعة. واستدار المفتش إلى الحاضرين وقال:

– كان ينبغي أن تكون على الأرضية الباركيه آثار أقدام أخرى. فانبرت "**باندل**" تقول:

– أحسبني أستطيع أن أعلل هذا. لقد دخلت الخادمة في الصباح وشرعت في تنظيف الغرفة ومسح الباركيه دون أن ترى الجثة، إذ كانت مسجاة وراء مائدة الاجتماعات، فأزالت آثار الأقدام من فوق الباركيه قبل أن تدور حول المائدة وترى الجثة. وأومأ المفتش برأسه قائلا:

– هذا جائز. وقال الأمير "**كاترهام**":

– والآن اسمحوا لي أيها السادة أن أنصرف.. إن "**جورج لوماكس**" قادم على الفور من دير "**ديفرن**"، وسوف يمدكم بكل ما تشاءون من معلومات. وطرق الباب ودخل رئيس الخدم "**تريدويل**" يخطر مولاه بأنه أعد مائدة الفطور، وأن الضيوف لا يلبثون أن يتوافدوا على القاعة. وقال الأمير في أسى:

– ما أحسبني أستطيع بعد هذه الأحداث أن آكل شيئًا.

ودست "**باندل**" يدها تحت ذراع أبيها ومضت به إلى قاعة الطعام. وقالت "**باندل**":

– إن الأمر مثير جداً حتى ليُخيّل إليّ أنني أشاهد فيلمًا سينمائيًا. فقال لها أبوها:

– هذا شأنكم دائمًا معشر الشباب. تلتمسون الإثارة حتى في جرائم القتل.

وتطلع الأمير إلى صحاف الطعام المصفوفة، وتناول بيضة مضى يقشرها في سأم. قالت له ابنته:

– ترى من الذي قتله؟ فأجاب:

– لا أدري، وإن كنت أشتبه في "**إيزاكستين**" . فقالت ابنته:

– وما الذي يدعو "**إيزاكستين**" إلى قتل الأمير وهو الذي جاء خصيصًا لمقابلته؟ فأجاب الأمير:

– يا بنتي إنها أسرار السياسة المالية العليا. وسمع هدير سيارة تتوقف بالباب، فأسرع الأمير وابنته إلى النافذة يطلان منها. وإن هي إلا لحظات حتى دخل "**جورج لوماكس**" القاعة وهو متجهم الوجه وقال:

– إنها كارثة.. كارثة رهيبة.. فقال الأمير:

– إني أدرك مشاعرك، ولكن يحسن بك أن تلتهم هذه البيضة وإلا انهارت أعصابك.

– إنها كارثة قومية.. لقد انهارت أحلام الحكومة في استغلال آبار بترول "**هيرزوسلوفاكيا**" . فقال "**كاترهام**" :

– هدئ روعك يا صديقي.. إنك الآن في حاجة إلى الطعام؛ حتى يصفو ذهنك فتدبر أمرك. فقال:

– ترى هل أبلغت أحدًا بما حدث؟

– لقد كتمت الأمر عن الجميع.. فيما عدا "**باندل**" والبوليس.. والخدم بالتأكيد، فإنهم هم الذين أبلغوني بما حدث. وقال "**لوماكس**" :

– مثل هذه الجريمة أكبر من مستوى البوليس المحلي، فعلينا أن نبادر إلى استدعاء "**باتيل**" كبير مفتشي "**اسكتلانديارد**" . ثم نهض واقفًا وهو يقول:

– لابد أن أبادر إلى كتابة بعض البرقيات.

– إذا ما فرغت منها فسلمها إلى "**باندل**" فتتولى إملاءها تليفونيًا على المكتب.

وفرغ "**جورج لوماكس**" من كتابة البرقيات وناولها إلى الفتاة، فراحت

تتصفحها، ثم قالت:

– يا إلهي..! يا له من اسم غريب يصعب النطق به! "**البارون**".. "**البارون**".. وتوقفت فقال "**لوماكس**":

– "**البارون لولوبريتز**". ثم التفت إلى رب القصر قائلا:

– خير ما تفعله يا "**كاترهام**" هو أن تنفض يدك من الموضوع وتكل الأمر كله إليّ.

– وهذا ما كنت أتمناه.. والآن عليك بمقابلة رجال البوليس ومشاهدة الجثة.

وأسرع "**جورج لوماكس**" يغادر الغرفة في حين عاد الأمير "**كاترهام**" إلى المائدة وراح يلتهم طعامه.

- 11 -

أمضى الأمير "**كاترهام**" صبيحة يومه يتجول في مزرعته، حتى إذا شعر بالجوع رجع إلى القصر، وتسلل إليه من الباب الخلفي حتى لا يشعر به أحد، ولكن "**تريدويل**" كان يترقب عودته ليبادره بقوله:

– السيد "**لوماكس**" في انتظارك يا سيدي.

– يا إلهي..! ألا أنتهي من هذه المضايقات؟ وتنهد "**كاترهام**" ومضى إلى المكتبة مستسلماً. وابتدره "**جورج لوماكس**" بقوله:

– أين كنت يا صديقي..؟ إننا في انتظارك منذ ساعة.. هذا هو "**باتيل**" كبير مفتشي "**اسكتلانديارد**"، وهو يريد الآن أن يوجه إلينا بعض الأسئلة.. هذا هو العميد "**ميلروز**" رئيس الكونستابلات". وقال "**باتيل**":

– لقد فهمت أن القتيل يدعى الأمير "**استانيسلوس**"، وهذا على الأقل هو الاسم الذي تطلقونه عليه، ولكن ما هو اسمه الحقيقي..؟ فأجاب الوزير:

– إنه الأمير "**ميشيل**" أحد أمراء "**هيرزوسلوفاكيا**" ولكن أرجوك أن تكتم

هذا السر. وعاد "**باتيل**" يسأل:

– وما الغرض من زيارته للقصر؟

– هذا سر يتصل بسياسة الدولة العليا، وسوف أفضي به إليك على أن تعدني بالكتمان التام. لقد جاء الأمير إلى القصر لمقابلة السيد "**هيرمان إيزاكستين**"، إذ وعده بأن يقدم إليه قرضًا كبيراً بشروط معينة..

– وما هي هذه الشروط؟

– إني أجهلها على وجه التفصيل، ولكن فحواها أن الأمير "**ميشيل**" يتعهد إن هو ارتقى العرش بأن يمنح حق التنقيب عن البترول في بلاده إلى الشركات التي يساهم فيها السيد "**إيزاكستين**".. والحكومة البريطانية من ناحيتها تؤيد الأمير "**ميشيل**" في محاولته ارتقاء العرش لتعاطفه مع شركاتنا. فقال "**باتيل**":

– معنى هذا أن الأمير "**ميشيل**" في حاجة إلى المال، والسيد "**إيزاكستين**" في حاجة إلى البترول، والحكومة البريطانية تقر هذا الاتفاق. ثم أردف:

– ويبقى بعد هذا سؤال آخر، هل هناك جهات أخرى تحاول الحصول على حق التنقيب عن البترول؟

– نعم، هناك جماعة من الماليين الأمريكيين يسعون إلى نفس الغرض، وقد تقدموا إلى الأمير "**ميشيل**" بعروضهم، ولكنه رفضها؛ لأن ميوله مع الحكومة البريطانية. وقال "**باتيل**" موجها الحديث إلى الأمير "**كاترهام**":

– لقد فهمت يا سيدي الأمير أنك قابلت الأمير "**ميشيل**" بالأمس في "**لندن**" وسافرتما إلى القصر، وكان في صحبته وصيفه الخاص، وهو "**هورتزسلوفاكي**" ويدعى "**بوريس أنشوكوف**"، أما ياوره الخاص النقيب "**أندراسي**" فتخلف عنكم في المدينة. وفور وصول الأمير احتجب في جناحه متذرعًا بشدة التعب، وتناول عشاءه في غرفته منفرداً، ولم يقابل أحداً من أهل البيت أو الضيوف.

– تمامًا.. هذا هو ما حدث فعلا. واستطرد "**باتيل**":

– وفي الثامنة إلا ربعاً من صباح اليوم اكتشفت الجثة إحدى الخادمات، وقرر الدكتور "**كارترايت**" أنه لقي حتفه نتيجة إصابته برصاصة من مسدس، ولكن لم يعثر على سلاح الجريمة، ويبدو أن لا أحد في البيت سمع دوي الطلق الناري، وقد تهشمت ساعة القتيل عند وقوعه، وتوقفت عقاربها على الثانية عشرة إلا ربعاً، وفي هذا ما يحدد وقت وقوع الجريمة. فمتى أويتم إلى مخادعكم ليلة الأمس..؟ فأجاب الأمير:

– لقد صعدنا إلى مخادعنا حوالي العاشرة والنصف. فقال المفتش:

– والآن أرجو يا أمير "**كاترهام**" أن تحدثني قليلا عن جميع الذين يقيمون في القصر. فأجاب الأمير:

– الأمير "**ميشيل**" ووصيفه الخاص، والسيد "**هيرمان إيزاكستين**" المالي اليهودي المعروف والسيد "**إيفرسلي**" سكرتيري الخاص. فتساءل المفتش:

– وهو يعرف بالتأكيد سر زيارة الأمير للقصر..؟

– لا أعتقد هذا، وإن كان دون شك يشعر بأن شيئًا ما يجري في الخفاء. واستطرد الأمير "**كاترهام**" :

– وهناك أيضًا السيد "**هيرام فيش**"، وقد حضر إلى القصر بتزكية من المليونير السيد "**لوسيوس جوت**"؛ لرغبته في مشاهدة ما لدي من طبعات أولى لبعض الكتب النفيسة القديمة. ولقد دعوته إلى الحضور لأسبغ على الاجتماع مظهرا بريئًا؛ إذ طلب إليّ السيد "**جورج لوماكس**" أن أنفي عن الاجتماع أن له أهدافًا سياسية بأن أدعو بعض أفراد ممن لا شأن لهم بالسياسة. هذا بالنسبة إلى الرجال، أما فيما يتصل بالسيدات فقد دعوت السيدة "**ريفيل**"، وأعتقد أنها جاءت وبصحبتها وصيفتها الفرنسية. ثم هناك بالتأكيد ابنتي والأطفال والمربيات وبقية الخدم.

وإذ فرغ الأمير "**كاترهام**" من سرد القائمة قال "**جورج لوماكس**" :

– لا شك في أن القاتل دخل من باب الشرفة. فقال المفتش "**بيل**":

– هناك آثار أقدام تمضي إلى باب الشرفة، ثم آثار أخرى تتباعد عنها. وقد عرفنا من التحريات أن سيارة توقفت بجانب سور القصر في الساعة 11.40، وفي الساعة الثانية عشرة وصل إلى فندق "**الكريكيت**" شاب يركب سيارة، وحجز لنفسه غرفة، وقد ترك حذاءه خارج باب غرفته لمسحه وتنظيفه، وكان حذاؤه مبللا وموحلا، شأن من مشى على الأعشاب في إحدى الحدائق. وقد طابقنا حذاءه على الآثار التي وجدت خارج النافذة فتطابقتا تماماً. فهتف "**جورج**":

– هذا إذن يحسم الموقف.. إنه القاتل دون شك..! ما اسم هذا الشاب..؟

– لقد سجل نفسه في الفندق باسم "**أنتوني كيد**".

– إذن لابد من مطاردته على الفور وتعقبه. فقال "**باتيل**":

– لا حاجة بنا إلى تعقبه لأنه لايزال في الفندق لم يبرحه.

– لايزال في الفندق..؟ هذا عجيب..! يا لها من جرأة..! كيف يرتكب جريمة قتل ثم لا يبادر إلى الفرار..؟

وقبل أن يجيب أحد عن هذا التساؤل طرق الباب ودخل "**تريدويل**" يقول:

– سيدي الأمير.. هنا زائر يلح على مقابلتك فوراً.

– قل له إنني مشغول الآن.. ما اسمه..؟ وكان الجواب:

– السيد "**أنتوني كيد**".

وحملق الجميع دهشة وذهولا.

- 12 -

فتح الباب بعد لحظات ودخل "**أنتوني كيد**" وابتدر الحاضرين بقوله:

– إنني "**أنتوني كيد**".. نزيل "**الكريكيت**" والمشبوه رقم واحد. ثم أردف:

– معذرة أيها السادة إذا كنت قد أقحمت نفسي عليكم، ولكن ثمة إشاعة تتردد في الفندق بأن جريمة قتل ارتكبت في القصر، فخطر لي أنه قد يمكنني أن ألقي بعض الضوء على ما يلابسها من غموض. وظل الجميع سكوتًا برهة من الوقت، ثم تكلم الأمير "**كاترهام**" أخيراً، فدعاه إلى الجلوس، وقال يسأله:

– هلا شرحت لنا يا سيد "**كيد**" ما تعنيه بما قلت؟

– إنني أعني أنني تسللت ليلة الأمس في الثانية عشرة إلا ربعًا إلى حديقة الأمير "**كاترهام**"، وسمعت دوي طلق ناري. وظل القوم صامتين لا تنم ملامحهم عن الدهشة، فاستطرد "**كيد**":

– ليس هذا على أية حال بالنبأ الجديد عليكم، فأنتم تعرفون من قبل أنني اقتحمت الحديقة، فعندما صحوت صباح اليوم وطلبت حذائي عرفت أن أحد رجال الشرطة حضر إلى الفندق وأخذه معه. وكان من السهل عليّ أن أستنتج أن الشبهات حاقت بي، ولهذا جئت مسرعا لأبرئ نفسي. فقال "**باتيل**" مؤمنًا:

– حسنًا فعلت. فقال "**أنتوني**" وقد برقت عيناه قليلا:

– شكراً لك يا سيدي المفتش على حسن إصغائك. وقاطعه الأمير "**كاترهام**" في لهجة ودود؛ إذ كان الشاب قد بدأ يروق له:

– إنه السيد "**باتيل**" كبير مفتشي "**اسكتلانديارد**"، وهذا هو العقيد "**ميلروز**" رئيس كونستابلات مركز بوليس بلدنا. وهذا هو السيد "**جورج لوماكس**" وزير الخارجية. فاستدار "**أنتوني**" إلى الوزير وألقى عليه نظرة فاحصة وقال:

– السيد "**لوماكس**"؟.. لقد تلقيت منك خطابًا بالأمس يا سيدي الوزير. فحملق إليه "**جورج لوماكس**" وقال في لهجة متسمة بالفتور:

– خطاب مني أنا..؟ أحسبك مخطئًا يا سيد "**كيد**". وتمنى لو أن سكرتيرته الآنسة "**أوسكار**" كانت حاضرة في هذه اللحظة، فإنه في مثل هذا المنصب

الخطير لا يستطيع أن يذكر العشرات من الخطابات التي يذيلها بتوقيعه كل يوم.

وانبرى الأمير "**كاترهام**" قائلا في مرح:

– هل لك أن تشرح لنا الأسباب التي حملتك على اقتحام أملاكي..؟

– إنها قصة طويلة يا سيدي الأمير.

وتناول سيجارة من علبته وأشعلها، ونفث منها عدة أنفاس وهو غارق في خواطره.

خلال أربع وعشرين ساعة، وفور أن وضع قدمه على أرض "**إنجلترا**" ألفى نفسه متورطاً في جريمتي قتل دون أن يكون له شأن في الأمر. في الجريمة الأولى تخلص من الجثة بأن تركها في الطريق العام، وقد تتكشف الأمور عن أسوأ المآزق. وها هي ذي الجريمة الثانية تواجهه بمخاطرها واحتمالاتها. بيد أنه على أية حال استقر على أن يروي الحقيقة بحذافيرها، مع تحفظ هين سيدخل على الوقائع تعديلا خفيفاً، وسيخفي من الحقيقة جزءا صغيرا. قال:

– تبدأ القصة منذ ثلاثة أسابيع في "**بولاوايو**"، والسيد "**لوماكس**" بوصفه وزيراً للخارجية يعرف دون شك أين تقع "**بولاوايو**" هذه من إمبراطوريتنا العظيمة التي لا تغرب عنها الشمس. وهناك تقابلت مع صديقي السيد "**جيمس ماك جراث**". وقد نطق بالاسم على مهل وفي تؤدة، وأجفل السيد "**لوماكس**" في مقعده وعقد ما بين حاجبيه.

واستطرد "**أنتوني كيد**":

– وقد عهد إليّ صديقي "**ماك جراث**" بأن أؤدي عنه مهمة صغيرة في "**إنجلترا**"، ولما كان قد حجز لنفسه مكانًا في الباخرة باسمه – أي "**ماك جراث**"– فقد رأينا أن أستعير اسمه وأن أستعمل جواز سفره وإلا استحال عليّ أن أجد مكانا في الباخرة لازدحامها بالمسافرين. وأردف "**أنتوني**" في لهجة مرحة:

– هذا بالتأكيد تزوير لا شك فيه، والسيد "**باتيل**" كبير المفتشين يستطيع أن يأخذني باعترافي ويزج بي في السجن بضعة أشهر.

وأبرقت عينا "**باتيل**" جذلا وقال:

– أرجو أن تستمر يا سيد "**كيد**".

– وعند وصولي إلى "**إنجلترا**" نزلت في فندق "**بليتز**" بنفس الاسم المستعار "**جيمس ماك جراث**". وكانت مهمتي في "**لندن**" هي أن أسلم إلى إحدى شركات النشر مخطوطا معينا، ولكني ما كدت أستقر في فندقي حتى اتصل بي مندوبان يمثل كل منهما حزباً سياسيًّا في إحدى البلاد الأجنبية.

وضحك "**أنتوني كيد**" في رقة وتابع الحديث:

– وكان اتصال المندوب الأول بي سليمًا لا مأخذ عليه، أما محاولة المندوب الثاني فكانت متسمة بالعنف، وذلك أن أحد خدم الفندق سطا على غرفتي وحاول أن يسرق المخطوط النفيس وشهر عليّ مديته. فقال "**باتيل**":

– أعتقد أنك لم تبلغ الحادث إلى الشرطة؟

– تمامًا، فقد أخفقت المحاولة، ولم يسرق مني شيئًا، ولكنني بادرت إلى إبلاغ الحادث إلى مدير الفندق، وسوف يؤيد روايتي إذا ما سئل عنها. وفي اليوم التالي اتصل بي الناشرون واتفقنا على أن يوفدوا إليّ مندوبا عنهم لأسلمه المخطوط. في صباح اليوم التالي جاءني المندوب وسلمته الأوراق، ثم لم أسمع عن الأمر شيئًا بعد ذلك.

واستطرد "**أنتوني كيد**":

– وبالأمس تسلمت رسالة من السيد "**لوماكس**" موجهة إليّ باسمي المنتحل باعتباري "**ماك جراث**"، وفي هذا الخطاب عرض عليّ السيد "**لوماكس**" اقتراحًا معيناً بشأن المخطوط الذي كان في حوزتي، كما أرفق برسالته بطاقة دعوة من الأمير "**كاترهام**" لقضاء عطلة الأسبوع في قصره. فقال الأمير في مرح:

– مرحبا بك يا ضيفي العزيز. وقال كبير المفتشين متسائلا:

– أهذا هو تعليلك لاقتحامك حديقة القصر خفية في الليلة الماضية..؟

فأجاب "**أنتوني**":

– كلا بكل تأكيد. فما دامت الدعوة موجهة إليّ بصفة رسمية، فالمفروض أن أطرق الباب الأمامي، وأن أدخل شامخ الرأس بدلا من أن أتسلل من النافذة الخلفية. واستطرد:

– لقد أجبت على خطاب السيد "**لوماكس**" بأن المخطوط لم يعد بين يدي، فلا مجال عندئذ للبحث في اقتراحه. أما بالنسبة إلى الدعوة الموجهة إليّ من الأمير "**كاترهام**" فقد اعتذرت عن قبولها لاضطراري إلى مغادرة البلاد. وبعد أن أودعت ردي صندوق البريد تذكرت شيئًا غاب عن ذهني في غمار الأحداث التي مرت بي. وتابع الحديث قائلا:

– يجب أن أذكر لكم أنه عندما سطا "**جيوسيب**" خادم الفندق على غرفتي وشهر عليّ مديته اشتبكنا في عراك قصير، وسقطت منه قصاصة من الورق في أثناء المعركة، وكان مسطوراً على القصاصة هذه الكلمات: «قصر "**شيمنيز**" الساعة 11.45 يوم الخميس». وقدم "**أنتوني**" القصاصة إلى المفتش "**باتيل**"، واستطرد:

– وأثارت هذه العبارة شكوكي، وتوقعت أن تحدث في القصر بعض المتاعب، فاستقر رأيي على أن أحضر فأنزل في فندق البلدة، ثم أخطر الأمير "**كاترهام**" ما رابني، ولكنني وصلت متأخراً في وقت ليس من اللائق أن أزور فيه الأمير، فرأيت أن أحضر إلى القصر في الموعد المحدد وأتجول في المكان، ولهذا لم أتردد أن أقفز إلى الحديقة من فوق السياج وأقترب من المبنى، وعندئذ سمعت الطلق الناري، وحاولت أن أدخل من باب الشرفة، ولكنني وجدته مغلقا. ولما ظل القصر ساكنًا اعتقدت أن الرصاصة التي سمعتها انطلقت من بندقية أحد

لصوص الصيد. فقال المفتش "**باتيل**":

- إنك محق في أن تعتقد هذا. واستطرد "**أنتوني كيد**":

- وفي الصباح سمعت نبأ الجريمة التي اقترفت في القصر، وأدركت أن الشبهات ستتجه إليّ بطبيعة الحال، فبادرت إليكم مسرعًا؛ لأبرئ نفسي، أو.. لأقدم إليكم معصمي لتضعوا فيه القيد الحديدي.

فقال العقيد "**ميلروز**" رئيس الكونستابلات:

- إني أميل إلى الاعتقاد بأن قصتك سليمة لا غبار عليها. وقال المفتش "**باتيل**":

- ثمة سؤال آخر.. ما كنه هذا المخطوط..؟ وأجاب "**جورج لوماكس**" في شيء من التردد:

- إنه مذكرات المرحوم الأمير "**أستيل بيتش**". وقال "**باتيل**":

- سيد "**كيد**".. هل تعرف من هو القتيل؟

- يقولون في الفندق إنه يدعى الأمير "**استانيسلوس**". فقال "**باتيل**":

- إنني أرى لمصلحة التحقيق ألا نكتم عنك الحقيقة.. القتيل هو الأمير "**ميشيل**" من الأسرة المالكة في "**هيرزوسلوفاكيا**"، ولكنه اتخذ لنفسه اسمًا مستعاراً هو الأمير "**استانيسلوس**".

وتأمل كبير المفتشين "**أنتوني كيد**" بنظرة فاحصة برهة من الوقت ثم قال:

- إني أحب أن أتحدث على انفراد إلى السيد "**كيد**".

وانسحبا خارجين من الغرفة، ومضيا إلى قاعة الاجتماعات حيث وقعت الجريمة، وإن كانت الآن خالية من الجثة إذ نقلت إلى مكان آخر، بيد أنها خلفت فوق السجاد بقعة من الدم.

وقال "**باتيل**" يسأل "**أنتوني كيد**":

- هل أنت واثق بأن هذه الغرفة هي التي صدر منها الطلق الناري؟

– إني متأكد من هذا، فإنها الغرفة الواقعة عند زاوية البناء. ولكن لم تسأل؟.. ألم تجدوا الجثة هنا؟..

– وجدناها، ولكن من يدري؟.. إن الجثث تنقل في بعض الأحيان. وإن كنت متأكداً من أن الجريمة وقعت في هذه الغرفة بالذات. ثم أردف متسائلا:

– إنك أشرت إلى النوافذ فكيف كان حالها عندما حاولت أن تفتحها..؟

– لقد عالجت ثلاثا منها فكانت جميعها موصدة بالمزلاج من الداخل.

– هذا غريب، فقد كانت النافذة الوسطى مفتوحة عند اكتشاف الجثة هذا الصباح. فقال "أنتوني":

– هذا يقلب الأوضاع، ويفتح الباب أمام احتمالات جديدة. إما أن القاتل من داخل البيت، ثم فتح النافذة على سبيل التعمية بعد ارتكاب الجريمة؛ حتى يوهم الشرطة أن القاتل جاء من الخارج. والاحتمال الثاني: هو أنني كذبت عليك حينما قلت إن النافذة كانت مغلقة. فقال كبير المفتشين:

– إنني موقن من أنك صدقتني القول. وتساءل "أنتوني":

– لقد فهمت أنه قتل برصاصة مسدس، فهل عثرتم على سلاح الجريمة..؟

– كلا.. ولكننا عثرنا على هذه القصاصة فوق الجثة. وكانت ورقة عليها يد مرسومة باللون الأحمر. فهتف "أنتوني":

– مرة أخرى "رفاق اليد الحمراء"..! فسأله الشرطي:

– أرأيت هذا الرمز من قبل؟..

وروى له "أنتوني" قصة الزائر الذي جاءه في الفندق مندوبًا عن "رفاق اليد الحمراء". وقال له الشرطي:

– والآن هيا بنا لأريك الجثة.

ومشيا عبر الممر حتى انتهيا عند غرفة في أقصى الردهة، وتناول الشرطي مفتاحًا فتح به الباب، ودخلا معًا..

كانت الجثة مسجاة على الأريكة، وملاءة منشورة فوقها. وسحب المفتش الغطاء وانكشف الوجه الأصفر الباهت وشهق "**أنتوني كيد**" دهشة وهتف:

– لقد رأيت هذا الرجل من قبل..! إنه هو الذي تسلم مني المذكرات، ولكنه لم يقدم نفسه إليّ باسم الأمير "**ميشيل أوبولوفيتش**"، وإنما انتحل لنفسه صفة مندوب شركة "**بالدرسون وهودكينز**" للطباعة والنشر، وزعم أنه يدعى السيد "**هولمز**".

- 13 -

ضرب "**أنتوني كيد**" كفيه في أسى وقال:

– يا إلهي!.. إذن فقد استطاعوا أن يخدعوني فسلمته المذكرات ببساطة مثل أكبر مغفل في الدنيا.

فقال له "**باتيل**":

– هون عليك يا سيد "**كيد**"، فهي خدعة محبوكة يمكن أن تجوز على أذكى الناس. ورجعا ثانية إلى قاعة الاجتماعات. وسأله المفتش "**باتيل**":

– أواثق أنت بأن النافذة الوسطى كانت مغلقة بالمزلاج من الداخل، أم أنها استعصت عليك فحسبتها موصدة..؟

– إني على يقين من أنها كانت.. وأمسك لا يتم، وإنما تطلع في توجس إلى ناحية الباب وحذا المفتش حذوه إذ كان قد سمع نفس الصوت، واتجه "**أنتوني**" إلى الباب بخفة وفتحه دفعة واحدة، فإذا به أمام رجل طويل القامة، أسود الشعر، ذي وجه بريء القسمات. وقال الرجل في بساطة:

– عفواً يا سيدي، ولكن ألا يمكن أن ألقي نظرة على مسرح الجريمة..؟ إنك من "**اسكتلانديارد**" فيما أعتقد؟.. فأجابه "**أنتوني**" وهو يتنحى له عن الباب ليدخل:

- بل هذا السيد هو الذي من "**اسكتلانديارد**" .. إنه السيد "**باتيل**" كبير المفتشين.

- حقًّا..؟ إني سعيد بمقابلتك يا سيدي.. إنني "**هيرام فيش**" من "**نيويورك**" . وسأله الشرطي السري:

- ما الذي تريد أن تراه يا سيد "**فيش**" ..؟ وأقبل السيد "**فيش**" على بقعة الدم يتأملها في اهتمام وهو يقول:

- إن الجريمة هي إحدى اهتماماتي يا سيد "**باتيل**" .

وقد نشرت في العهد الأخير بحثًا في إحدى المجلات عن «انحرافات الشباب والجريمة».

وفيما هو يتحدث كان يدير بصره في أرجاء الغرفة، واستقرت عيناه على النافذة برهة طويلة. ثم نقل عينيه إلى الصور المثبتة بجُدر القاعة وقال:

- تحف جميلة.. رائعة.. هذه اللوحة لـ"**فان دايك**" فيما أعتقد. لقد كان الأمير "**كاترهام**" من اللطف بحيث دعاني إلى مشاهدة الطبعات الأولى لبعض الكتب القديمة، ولكن الفرصة أفلتت مني؛ إذ لابد أن يعجل الضيوف بالرحيل بعد وقوع هذا الحادث الأليم. فقال المفتش "**باتيل**" :

- أخشى يا سيد "**فيش**" ألا يسمح للضيوف بالرحيل إلا بعد جلسة التحقيق.

- حقًّا..؟ ومتى تعقد هذه الجلسة..؟

- ربما غدا، ولكنها قد تؤجل حتى يوم الاثنين. ومشى "**باتيل**" إلى الباب وهو يقول:

- يحسن بنا أن ننصرف؛ إذ يجب أن تظل هذه الغرفة موصدة بالمفتاح.

ومضوا إلى بهو الاستقبال الكبير، وهتف السيد "**فيش**" وهو يعبر المدخل:

- آه! هذا هو مضيفنا العظيم ومعه تلك السيدة الشابة المرحة التي تفيض

بهجة وإشراقا، وإن كان اسمها قد غاب عني. وكان يعني بذلك السيدة "**فرجينيا ريفيل**" إذ كانت في رفقة الأمير "**كاترهام**" يتبادلان الحديث.

وكان "**أنتوني كيد**" يترقب هذا اللقاء، وإن حار كيف يتصرف.. هل يبدي أن له بها معرفة سابقة، أم يتظاهر بانه يلتقي بها لأول مرة. وأنقذته السيدة "**ريفيل**" من حيرته إذ هتفت به وهو مقبل عليها عبر القاعة:

– آه..! هذا أنت يا سيد "**كيد**"..؟ إذن فقد حضرت أخيراً..؟

فقال الأمير "**كاترهام**" في دهشة:

– ما كنت أحسب يا عزيزتي السيدة "**ريفيل**" أن السيد "**كيد**" صديق لك.

– بل إنه صديق قديم.. وقد التقيت به مصادفة بالأمس في "**لندن**"، وأخبرته بأنني سأقضي عطلة الأسبوع في "**شيمنيز**".

وسارع "**أنتوني**" يجاريها بقوله:

– لقد ذكرت للسيدة "**ريفيل**" أنني مضطر إلى الاعتذار عن تلبية دعوتك، حيث إنها كانت في الواقع موجهة إلى شخص آخر. فقال الأمير "**كاترهام**" في سماحة:

– لقد أسعدني أن أتعرف بك أيها الشاب، ولهذا سأوفد من يأتي بحقائبك من فندق "**الكريكيت**".

– شكراً لك يا سيدي الأمير، ولكن الواقع أنني... فقاطعه الأمير:

– اعتراضك مرفوض، فدعك من النقاش.. وقالت "**فرجينيا**":

– مادمت ستبقى يا سيد "**كيد**" فإن في وسعك أن تنقذني من حديث الجريمة الذي ملأ سمعي منذ حضرت، وذلك بأن تمضي بي إلى الحديقة لنتمشى قليلا؛ حتى أنأى بنفسي عن هذا الجو الخانق الحافل برائحة الدم.

وتأبطت ذراع "**أنتوني كيد**"، ووقف الآخرون يتابعونهما بأبصارهم وهما يغادران القاعة ضاحكين.

*****

- 14 -

قال الأمير "**كاترهام**" :

– إنه شاب لطيف.. هذا الفتى "**أنتوني كيد**". فقال السيد "**فيش**" :

– يبدو أن السيدة "**فرجينيا**" سعدت حقًّا بأن تلتقي بصديق قديم.

– يبدو هذا، ولكن من الغريب أنني لم أسمعها من قبل تشير إلى اسم السيد "**أنتوني كيد**".

ثم التفت إلى كبير المفتشين قائلا :

– إن السيد "**لوماكس**" يريد منك أن تقابله الآن يا سيد "**باتيل**".. إنه في الغرفة الزرقاء.

وتلقاه "**جورج لوماكس**" في لهفة، وكان يذرع الغرفة ذهابا وجيئة، في حين كان هناك رجل بدين غارق في مقعد كبير يلتمس الدفء أمام نار المدفأة. وقال "**جورج لوماكس**" :

– اقبل يا "**باتيل**" أعرفك بالسيد "**هيرمان إيزاكستين**". واستطرد "**جورج**" :

– والآن ما رأيك في هذا الشاب "**أنتوني كيد**"..؟ أمازلت تعتقد أنه بريء..؟ فأجاب كبير المفتشين:

– إن قصته تبدو متماسكة، وتعليله لزيارته الخفية للقصر سليم مستساغ.

– إذن فأنت تستبعد اشتراكه في الجريمة..؟

– إني لم أقل هذا يا سيدي، فلاتزال أمامنا تحريات لابد أن نقوم بها. وتدخل "**إيزاكستين**" في الحديث بقوله:

– وما رأيك في الجريمة يا سيد "**باتيل**"؟

– إننا مازلنا في مرحلة متقدمة لا أملك عندها أن أكون رأيًا قاطعًا، ولا أزال حتى اللحظة أتلمس ردًّا على أول سؤال يخطر بالبال.

– وما عسى أن يكون هذا السؤال..؟

- الدافع.. ما هو الدافع إلى اقتراف هذه الجريمة؟.. من الذي يفيد من موت الأمير "**ميشيل**"؟

فأجاب وزير الخارجية:

- الحزب الثوري في "**هيرزوسلوفاكيا**".... فقاطعه المفتش "**باتيل**":

- ليست جماعة "اليد الحمراء" على أية حال.. إذا كان هذا هو ما يدور بخاطرك يا سيدي الوزير.

- عجبا..! إذن ما معنى القصاصة التي وجدناها مع الجثة، والمرسوم عليها كف أحمر..؟ مجرد مناورة للتعمية.. حيلة للتضليل.. منذ وطئت قدما الأمير "**ميشيل**" أرض "**إنجلترا**" ونحن نفرض على هذه الجماعة رقابة صارمة.. إن من المستحيل أن يقترب أي فرد منهم من الأمير، ولو على مسافة 1.6 كيلو متر.

فقال "**إيزاكستين**":

- إني متفق في الرأي مع السيد "**باتيل**". واستطرد كبير المفتشين:

- إن الموقف يتلخص في الآتي:

إنكم خسرتم ملكًا، فلابد لكم أن تعثروا على ملك جديد، وليست هذه بالمهمة الهينة.. وهذا ينقلنا إلى السؤال الثاني: ما دام الأمير "**ميشيل**" قد مات فمن يكون المرشح الثاني للعرش..؟

وتردد "**جورج لوماكس**" هنيهة، ثم أجاب:

- أعتقد.. أعتقد أن المرشح المنتظر هو الأمير "**نيقولا**"، ابن عم الأمير "**ميشيل**".

فقال "**باتيل**" في نبرة ذات مغزى:

- فهمت.. إذن فيجب أن أعرف كل شيء عن هذا الأمير "**نيقولا**"، وبصفة خاصة أين هو الآن..؟

فأجاب "**لوماكس**":

– إن ما نعرفه عنه قليل. إنه شاب متهور، على علاقة وثيقة بالجمهوريين والاشتراكيين، وسلوكه العام لا يليق بعضو في الأسرة المالكة. وأعتقد أنه طرد من "**أكسفورد**"؛ لارتكابه عملا ينطوي على الطيش والرعونة. وفي أحد الأيام تردد أنه قتل في "**الكونغو**"، ثم تبين أن موته كان مجرد إشاعة كاذبة. وقد عاد إلى الظهور منذ شهور حين أشيع أن الأسرة المالكة قد تعود إلى العرش في "**هيرزوسلوفاكيا**".

– وأين كان ظهوره..؟

– في "**أمريكا**". فقال "**باتيل**" متسائلا:

– تسانده شركات البترول بالتأكيد؟ فأجاب "**إيزاكستين**":

– تمامًا.. وقد صرح بأن بلاده إذا آثرت الملكية فإنهم سوف يفضلونه على الأمير "**ميشيل**"؛ لأنه متعاطف مع الأحزاب الجمهورية، منحاز إلى الأفكار التقدمية. كما أبدى استعداده لمنح حق التنقيب عن البترول لمجموعة من الشركات الأمريكية مقابل تقديمها العون المالي إليه. فقال "**باتيل**" معقبًا:

– الآن بدأت الأمور تتجلى قليلا.. فالحزب الملكي يؤيد الأمير "**ميشيل**" الذي تسانده شركات البترول البريطانية، ويقتل الأمير "**ميشيل**" فيظهر على المسرح الأمير "**نيقولا**" الذي تؤيده الشركات الأمريكية.

فهتف "**لوماكس**":

– يا إلهي يا "**باتيل**"!.. إنك لا تظن أن.. فقال "**باتيل**" في اقتضاب:

– ولم لا؟.. إنها صفقة عظيمة، وفي الصفقات العظيمة لا يتورع الناس حتى عن ارتكاب جريمة قتل.

وقال "**جورج لوماكس**":

– ثمة شيء أثار ريبتي.. لماذا لم يصحب الكابتن "**أندراسي**" الأمير "**ميشيل**" بالأمس عند قدومه إلى القصر وهو ياوره الخاص..؟

فقال "**باتيل**":

- لقد تحريت الأمر فعرفت أنه تخلف في "**لندن**" ليقابل سيدة معينة ليتفق معها على قضاء عطلة نهاية الأسبوع التالية مع الأمير. واستطرد "**باتيل**":

- وثمة نقطة أخرى ينبغي أن نأخذها في الحسبان.. إن لدينا من المعلومات ما يمكن أن أفترض معه أن الملك "**فيكتور**" موجود في "**إنجلترا**" في الوقت الحاضر. فتساءل "**جورج لوماكس**" في استغراب:

- الملك "**فيكتور**"؟!

- إنه لص فرنسي شهير.. لص جواهر معروف.. فقال "**لوماكس**":

- آه! لقد تذكرته الآن.. إنه الرجل الذي.. وأمسك عما كان بسبيل الإفضاء به. ونهض السيد "**إيزاكستين**" واقفا وهو يقول:

- ترى هل يمكن أن أعود إلى "**لندن**" يا سيد "**باتيل**"..؟ أم أن في هذا ما يعرقل مجرى التحقيق؟

فأجابه بأنه لابد من الانتظار إلى ما بعد جلسة التحقيق، وإلا حذا الباقون حذوه، وأصروا على مغادرة القصر.

وإذ انصرف "**إيزاكستين**" تحول "**لوماكس**" إلى المفتش قائلا:

- إن وجود الملك "**فيكتور**" في "**إنجلترا**" يزعجني.. إنك تعرف بالتأكيد قصة الألماسة الشهيرة.

- ألماسة "**كوهينور**".. إنني أعرف القصة..

- هل تعتقد أن للملك "**فيكتور**" صلة بالجريمة الحالية..؟ فأجاب الشرطي:

- هذا احتمال قائم يا سيدي.. فلو أنك استرجعت الأحداث القديمة لتبينت أن هناك أربعة أماكن يمكن أن يخفي فيها «الزائر الملكي» هذه الألماسة و"**شيمنيز**" واحد منها. وقد قبض على الملك "**فيكتور**" في "**باريس**" بعد

اختباء الألماسة بثلاثة أيام، ولكنه أنكر كل شيء، وإن كنا لانزال نأمل أن يقودنا إلى مخبئها في يوم من الأيام.

– ولكننا فتشنا القصر تفتيشًا دقيقًا فلم نعثر عليها..

– هذا لأن القصر فسيح رحب.. إن من المحتمل أن يكون الملك "**فيكتور**" قد جاء إلى القصر ليستعيد الألماسة من مخبئها ففاجأه الأمير "**ميشيل**"، فما كان منه إلا أن قتله.

– هذا جائز.. جائز جدًّا. فقال "**باتيل**":

– ولكني أستبعد هذا الاحتمال؛ لأن المعروف عن الملك "**فيكتور**" أنه لا يسفك دما.

– ما الذي تراه..؟

– إني لا أزال في حيرة من أمري، ولكني أريد الآن أن أستجوب الوصيف الخاص للأمير.

واستدعى "**بوريس أنشوكوف**" فجاء وفي عينيه آثار الدموع. وسأله "**باتيل**":

– متى رأيت مولاك لآخر مرة؟

– لقد آوى سموه إلى فراشه في العاشرة والنصف، ونمت كالعادة في الردهة، ولابد أنه غادر مخدعه من الباب الثاني الذي يفضي إلى الطرقة وإلا لشعرت به.. وفي الصباح علمت بمصرعه..

ثم اشتد به الانفعال وصرخ كالوحش الثائر:

– تبًّا للقاتل.. لابد أن أثأر لمولاي المحبوب!.. لابد أن أنتقم..! وعندما أمسك بالقاتل لن أقتله، وإنما سأمزقه بخنجري تمزيقًا. وقال "**باتيل**" معقبا وقد انصرف الوصيف:

– إما أنه خادم مخلص أمين، وإما أنه ممثل قدير..

- 15 -

حين غادرت "**فرجينيا ريفيل**" القصر في صحبة "**أنتوني كيد**" زاعمة للحاضرين أنه صديق قديم، سار الاثنان في الطريق المؤدي إلى البحيرة صامتين لا يتبادلان كلمة واحدة، وكانت "**فرجينيا**" هي التي قطعت حبل الصمت بقولها:

– والآن هلا أخبرتني عما فعلت بجثة الخادم الإيطالي..؟ إني ما تصورت قط أن أجد نفسي غارقة في جريمة قتل. فأجابها "**أنتوني**" ضاحكًا:

– لابد أنك شعرت بإثارة منقطعة النظير.

ثم أردف يروي لها كيف تخلص من الجثة، وكيف أخفى المسدس بين فروع الشجرة، وأن عليها أن تبادر فور عودتها إلى "**لندن**" بسحب الحقيبة الفارغة من مخزن الأمانات. فقالت الفتاة:

– إذن فالأمور تجري على ما يرام. ولكن يجب أن أهيئ نفسي لبيان الكيفية التي أمضيت بها الليلة السابقة.

فقال:

– لا أحسب أنك ستسألين في هذا الشأن.. أغلب الظن أن الجثة لن تكتشف إلا في صباح اليوم، وإلا لطلعت علينا صحف الصباح بنبأ اكتشافها ليلة الأمس، ومهما بلغ الأطباء من الحذق والبراعة فإنهم لن يستطيعوا أن يحددوا موعدا قاطعا لوقوع الجريمة، ولهذا فإنك لست في حاجة إلى دليل نفي عن كيفية قضائك الليلة السابقة.

فسألته:

– إن رجل "**اسكتلانديارد**" مؤمن ببراءتك فيما أعتقد..؟ فأجاب:

– هذا ما يبدو في الظاهر، ولكن المفتش "**باتيل**" رجل عميق ليس من السهل أن ينفذ المرء إلى بواطن تفكيره.

ثم أردف:

- إنك قضيت فترة في "**هيرزوسلوفاكيا**" مع زوجك، فهل سبق أن قابلت الأمير "**ميشيل**"؟ فأجابت ضاحكة:

- قابلته وغازلني..! بل إنه طلب أن يتزوجني.

- وكيف يتزوجك وأنت متزوجة فعلا؟

- إن الحل لم يستعص عليه قط.. قال إنه سيأمر بزوجي أن يقتل..! إنهم في "**هيرزوسلوفاكيا**" يزهقون الأرواح بنفس البساطة التي يشعلون بها سجائرهم.

وعاد "**أنتوني كيد**" يسألها:

- أحسبك لم تري جثة الأمير حتى الآن؟ فهزت رأسها نفيا، فاستطرد قائلا:

- ترى هل تستطيعين أن تغري الأمير "**كاترهام**" بأن يريك الجثة..؟ إنه يستطيع أن يقنع "**باتيل**" بأن يسمح لك بهذا.

- ولماذا تريد مني أن أرى الجثة..؟

- لأتأكد من أن الأمير "**استانيسلوس**" هو نفسه الأمير "**ميشيل**". فحملقت إليه في دهشة وقالت:

- أتريد أن تقول إن القتيل مدع كاذب انتحل شخصية الأمير..؟ ولهذا لاذ بغرفته في القصر منذ حضوره حتى يتفادى مقابلتي فلا أكشف زيفه..؟

فأجاب "**أنتوني**":

- شيء من هذا القبيل.. وإذا صحت الفكرة التي طرأت ببالي فهناك من يريد أن يحول دونك والحضور إلى قصر "**شيمنيز**"، ولعل السبب في هذا راجع إلى أنك كنت في "**هيرزوسلوفاكيا**" وتعرفينها حق المعرفة. ثم أردف:

- ترى هل خطر لك أنك الوحيدة التي سبق لك أن رأيت الأمير "**ميشيل**"..؟ لذلك يجب أن تلقي نظرة على الجثة.. ثم أردف يسألها وهو يومئ إلى مبنى القصر:

– أين تقع نافذة غرفتك؟ وأشارت إليها وسألته:

– ولكن لم تسأل..؟

– لأنني سمعت طلقا ناريا ليلة الأمس عندما تسللت خفية إلى حديقة القصر، وبعدها انبثق الضوء فجأة في هذه الغرفة (وأشار إليها) ثم انطفأ في الحال، وأريد أن أعرف من الذي يشغلها.

– سوف أسأل "**باندل**" في ذلك. وانتهيا في مسيرتهما إلى البحيرة، فقال لها:

– تعالي نستقل هذا القارب ونتجول به في البحيرة قليلا، حيث لا يستطيع أحد أن يسترق علينا السمع وأنا أروي لك بقية الحكاية. وإذ توسط بهما القارب البحيرة مضى "**أنتوني كيد**" يروي لها كيف التقى بصديقه "**جيمس ماك جراث**"، وكيف عهد إليه هذا بالمذكرات، وما كان بعد ذلك من سفره إلى "**إنجلترا**" منتحلا اسم صديقه. ثم قص عليها كيف سعى الساعون وراء المذكرات، وكيف سطا الخادم الإيطالي "**جيوسيب**" على غرفته في الفندق، وبدلا من أن يستولي على المذكرات سرق حزمة الرسائل الغرامية المذيلة باسمها، زورا وبهتانا. وإذ فرغ من قصته حدثته "**فرجينيا**" بما كان من زيارة "**جورج لوماكس**" لها، وكيف طلب منها أن تمضي عطلة الأسبوع في قصر "**شيمنيز**"، وأنه أراد منها أن تتعرف إلى من يدعى "**ماك جراث**" وأن تلاطفه حتى يسلمها المذكرات، وقالت:

– ولكنه حين رأى مني الفضول، وأنني راغبة في معرفة المزيد لاذ بالكتمان وأراد أن يصرفني عن تلبية دعوة الأمير "**كاترهام**". ولكنني حضرت على الرغم من ذلك، وهأنذا قد تعرفت إليك أي إلى "**ماك جراث**" المزعوم.

ثم ضحكت "**فرجينيا**" وأردفت:

– ولكن لا داعي لإغرائك، فإن المذكرات طارت من يدك بتلك الخدعة التي

لعبها الأمير "**ميشيل**" حين زعم أنه السيد "**هولمز**" مندوب شركة النشر.. مسكين "**جورج**".. لقد انهارت كل تدبيراته..

– أليست لديك فكرة عمن يمكن أن تكون "**فرجينيا ريفيل**" الأخرى، صاحبة الرسائل الغرامية..؟

وإذ هزت رأسها نفيا قال "**أنتوني**":

– إن إحدى هذه الرسائل كتبت من قصر "**شيمنيز**".

– هذا عجيب..! ومتى كتبت..؟

– إنها غير مؤرخة. فقالت وهي شاردة الذهن:

– لو أن "**فرجينيا ريفيل**" أخرى نزلت في هذا القصر لبادرت "**باندل**" بإخطاري بهذه المصادفة العجيبة.

فقال "**أنتوني**":

– أتعلمين يا سيدة "**ريفيل**" ما يدور في خاطري.. لقد بدأت أشك في وجود "**فرجينيا ريفيل**" أخرى.. إنها تبدو مراوغة كأنها شبح من الأشباح.. إنني أعتقد أن الشخص الخفي الذي كتب هذه الرسائل استعمل اسمك متعمداً.

– ولكن لماذا..؟ لأي غرض..؟

– هذه هي المشكلة.. سؤال بلا جواب.. والآن فلنعد إلى الشاطئ، فها هو الأمير "**كاترهام**" و"**باندل**" قادمان إلى البحيرة. وقالت "**باندل**" تمازح "**فرجينيا**":

– من أين جئت بهذا الشاب الوسيم يا "**فرجينيا**"؟ فأجابت "**فرجينيا**" ضاحكة:

– خذيه. إنه لك إن شئت، أما أنا فأريد الأمير "**كاترهام**". وتأبطت ذراع الأمير ومضت به مبتعدة، على حين راحت "**باندل**" و"**أنتوني**" يتمشيان في الحديقة صامتين.

وقالت "**باندل**" فجأة:

– ما بالك صامتًا؟.. يبدو أنك تحب أن توصف بالرجل الغامض. فقال:

– إذا تكلمت فإن لدي أسئلة أوجهها.

– إذن سل ما شئت وسوف أجيب. فسألها:

– من الذي يشغل هذه الغرفة؟ وأشار إلى الغرفة الثانية عند الناصية اليسرى..

– إنها غرفة الآنسة "**برون**" مربية الأولاد الفرنسية.

– ومنذ متى وهي تعمل عندكم..؟

– منذ شهرين.. ولكن لم هذه الأسئلة..؟

– لأنني رجل فضولي بطبعي.. ورأيا سيارة أجرة تعبر البوابة، وتتوقف بباب القصر، وينزل منها رجل طويل القامة، أصلع الرأس، فهتف "**أنتوني**" باستغراب:

– يا إلهي..! إن لم أكن مخطئا، فهذا هو صاحبي "**البارون لولوبريتز**". فقالت "**باندل**":

– يا له من رجل مزعج..! لقد تحدث إلينا اليوم تليفونيًّا عشرات المرات.. معذرة يا سيد "**كيد**".. اسمح لي أن أخف إلى استقباله؛ حتى أنقذ أبي المسكين من لجاجته وثرثرته.

وأسرعت "**باندل**" إلى البيت، على حين لبث "**أنتوني**" في مكانه بالقرب من كوخ القارب، غارقا في التفكير.

وانتبه فجأة على صوت خفيف صادر من وراء الكوخ، وسأل نفسه عمن يكون مختفيا هناك، وهل كان يسترق السمع على ما دار من حديث بينه وبين "**باندل**"..؟

وسار متسللا، ودار حول الكوخ، فإذا به أمام رجل يحاول أن يعتدل واقفًا؛ إذ كان واضحا أنه كان جاثيا على الأرض. كان رجلا طويل القامة، ذا لحية مدببة، يتراوح عمره بين الثلاثين والأربعين، وسأله "**أنتوني**":

– ماذا تفعل هنا؟ وأجاب الرجل بلكنة أجنبية وابتسامة لطيفة:

– كنت ذاهبا إلى فندق "**الكريكيت**" وضللت طريقي. فقال "**أنتوني**" في سخرية:

– أتراك تعتقد أنه يمكنك أن تذهب إلى الفندق بأن تخوض في مياه البحيرة؟

وبدت أمارات الارتباك على وجه الرجل الغريب على حين استطرد "**أنتوني**":

– هناك طريق عبر الحديقة ينتهي بك إلى الفندق، ولكن يجب أن انبهك إلى أن الحديقة من الأملاك الخاصة، وأن المرور فيها انتهاك لحرمة أملاك الغير. فقال الغريب:

– آسف جداً.. لقد ضللت الطريق فخطر لي أن أحضر هنا لأستعلم..

ولم يحاول "**أنتوني**" أن يواجهه بأن الركوع على الأرض وراء كوخ القوارب لا يمكن أن يكون وسيلة للاستعلام.

وأرشده "**أنتوني**" إلى الطريق الذي يجب أن يسلكه، ثم سأله:

– أحسبك مقيما في فندق "**الكريكيت**"..؟

– منذ صباح اليوم فقط يا سيدي.. شكراً لك على إرشادي إلى الطريق.

ووقف "**أنتوني**" يتابع ببصره الرجل الفرنسي ويقول لنفسه: «سلوكه يثير الشكوك، وإلا فلماذا يتوارى خلف الكوخ محاولا أن يسترق السمع.. ثم إنه فرنسي الجنسية، والمربية أيضاً فرنسية، فهل ثمة صلة بينهما..؟ ولماذا أضاءت النور في غرفتها بعد إطلاق الرصاص ثم أطفأته في الحال..؟ الحق أنني أمام لغز مستغلق على الأفهام».

ومضى "**أنتوني**" إلى القصر، فناداه الأمير من الشرفة بقوله:

– أهذا أنت..؟ دعني أقدمك إلى "**البارون لولوبريتز**" والنقيب "**أندراسي**".. هذا السيد "**أنتوني كيد**"..؟

وحملق إليه "**البارون**" في دهشة.. حين زاره في الفندق يسأله أن يسلمه المذكرات عرفه باسم "**ماك جراث**"، فكيف يقدمه الأمير "**كاترهام**" إليه الآن باسم "**أنتوني كيد**"..؟ وأسرع "**أنتوني**" يقول:

– معذرة يا سيدي "**البارون**" عن اللبس الذي أوقعتك فيه.. إنك حين جئت إلى الفندق كنت تسعى إلى مقابلة الرجل الذي كانت المذكرات في حوزته، وقد كنت أنا هذا الرجل المنشود، فليس بذي أهمية أن يكون اسمي "**ماك جراث**" أو "**أنتوني كيد**".. إن الأسماء لا تهم، ولعل هذا هو ما حدا بمولاك الأمير أن يتقدم إليّ باسم "**هولمز**" مندوب شركة النشر، وليس باسمه الحقيقي الأمير "**ميشيل**"، الحق أنها كانت حيلة بارعة جازت عليّ بسهولة، وإلا ما استطاع أن يستولي على المذكرات. وأردف "**أنتوني**":

– ولعلك تسمح لي بأن أوجه إليك سؤالا: أين المذكرات الآن..؟ فأجاب "**البارون**":

– الحق أني لا أدري على وجه اليقين، ولكنني أعتقد أن الأمير أحرقها، فإنهم لم يعثروا على أثر لها بين مخلفاته. فغمغم "**أنتوني**":

– من يدري..! إن من المحتمل أيضًا أنها لم تحرق. ثم أردف:

– على أية حال، ولكي أكون صريحًا معك يا "بارون"، يجب أن أقول لك إنني سأسعى وراء هذه المذكرات ولو إلى أقصى الأرض لكي أستردها وأسلمها إلى دار النشر، قبل الثالث عشر من هذا الشهر؛ تنفيذاً لما تعهدت به.

ثم استدار فجأة وراح يهبط درجات الشرفة، وشق طريقه وسط سياج الشجيرات المحاذية للشرفة.

لقد سمع وهو في الشرفة حفيفًا وسط الشجيرات، وحين اقترب من الموضع الذي صدر منه الحفيف رأى خيطًا رفيعا من الدخان يتصاعد من وسط الخميلة. وألقى ببصره خلسة ورأى الرجل. كان جالسًا على أحد المقاعد يدخن،

والشجيرات تواريه عن الأنظار، وهو في موضع يستطيع منه أن يسمع ما يدور في الشرفة من حديث. وغمغم "**أنتوني كيد**" يخاطب نفسه: «يبدو أن السيد "**هيرام فيش**" يحب أن يجلس في "الظل"..!».

- 16 -

دق الجرس إيذانًا بموعد تناول الغداء. وجاءت من داخل البيت إلى الشرفة طفلتان تركضان وتمرحان، هما "**دولسي**" و"**ديزي**" ابنتا "**كاترهام**" إحداهما في العاشرة والأخرى تكبرها بعامين.

وجاءت في أعقابهما "**باندل**" فسألها:

– ولكن أين المربية..؟ فأجابت "**دولسي**":

– صداع.. صداع.. صداع.. وألقت بهذه الكلمات منغمة كأنها أنشودة تتغنى بها.

وفي الطريق إلى قاعة المائدة أقبلت "**فرجينيا**" على "**أنتوني**"، وتعلقت بذراعه وهي تهمس في صوت خافت:

– إنك كنت مخطئا.. لقد رأيت الجثة.. إنه الأمير "**ميشيل**". فهمس:

– حقًّا..؟ وبهذه المناسبة لابد لي من مقابلة "المربية" المصابة بالصداع، فإنها هي التي تقيم في الغرفة التي انبثق فيها الضوء عقب إطلاق الرصاص. وإذ فرغوا من تناول الطعام عاد بعض الضيوف إلى الشرفة، على حين لاذ البعض الآخر بمخادعهم أو جلسوا في قاعة الاستقبال.

وقال "**أنتوني كيد**" يخاطب السيد "**فيش**":

– يبدو أنك تكره الجلوس في الشمس، وتؤثر الظل..؟ فتأمله الأمريكي بنظرة فاحصة وقال:

– لعلك رأيتني وأنا جالس في الخميلة؟ فأجاب "**أنتوني**" ضاحكًا:

- إنني في بعض الأحيان ألاحظ ما يفوت على بعض الناس. وقال السيد "**فيش**":

- لقد تناثرت إلى أذني بعض كلمات فهمت منها أن القتيل من إحدى الأسر المالكة، وأن الاسم الذي عرف به هو اسم مستعار، فهل هذا صحيح؟.. فأجابه "**أنتوني**" مراوغًا:

- لقد عرفناه باسم الأمير "**استانيسلوس**". وعاد السيد "**فيش**" يقول:

- لقد أمر كبير المفتشين ببقاء الضيوف إلى ما بعد جلسة التحقيق صباح الغد، فهل تراهم يرتابون في الضيوف..؟ إنني أعتقد أن المجرم جاء من الخارج، فقد كانت النافذة مفتوحة فيما سمعت..

فأجابه "**أنتوني**" في اقتضاب متلاعبا بالمعنى:

- كانت مفتوحة. فنهض السيد "**فيش**" واقفًا وقال وهو يهم بالانصراف:

- إن من أشق الأمور أن ينتزع منك أحد شيئًا من المعلومات. ودار "**أنتوني**" ببصره فيما حوله فابتدرته "**باندل**" ضاحكة:

- لعلك تبحث عن "**فرجينيا**"؟.. دعك منها الآن وركز اهتمامك عليّ.. هذا إلا إذا وجدتني مملة أثير ضجرك. فقال "**أنتوني**" ضاحكًا:

- بل إنني أجدك لطيفة مثيرة.

- إذا كان هذا صحيحا فهيا بنا إذن نتنزه بالقارب في البحيرة. وقال "**أنتوني**" يسألها والقارب يشق بهما المياه الهادئة:

- هل لك أن تجيبي عن سؤال يشغل ذهني؟

- سل ما شئت، مع أنني كنت أتوقع منك أن تغازلني بدلا من أن تمطرني بأسئلتك. فقال ضاحكًا:

- العمل أولا، ثم المغازلة ثانيًا.. ثم أردف:

- من أين جئتم بمربيتكم الفرنسية؟

– "**جنفييف**"؟.. لقد بعثت بها إلينا إحدى وكالات التخديم.

– وهل اطلعتم على شهادات الخدمة السابقة؟

– لقد عملت عشر سنوات عند الأميرة "**دي بروتيل**" في "**دينارد**".

– وبالتأكيد اتصلتم بالأميرة للاستفسار عنها؟..

– تبادلنا الرسائل، ولكننا لم نحاول أن نقابل الأميرة. ثم أردفت:

– إن أسئلتك تدهشني، فما الذي يدور بخلدك؟

– مجرد خواطر عابرة تدل على الغباء.

– فيمن تشتبه يا سيد "**كيد**"؟.. المربية أو "**فرجينيا**" أو "**بيل**"؟ فقال لها باسماً:

– وماذا عنك أنت مثلا؟

– إنها في الحق فكرة مدهشة مثيرة.. فتاة من الطبقة الأرستقراطية عضو في جماعة "رفاق اليد الحمراء"..

وأغرق الاثنان في الضحك. وأشار "**أنتوني**" إلى القصر قائلا:

– إنه قصر رائع.. تحفة أثرية لا نظير له بين القصور.

– ولكنني مللته وكرهته، ومن حسن الحظ أننا لا نقيم فيه إلا شهراً أو شهرين في العام، ولهذا جعلناه مباحًا للسياح يتوافدون عليه طوال السنة ليشاهدوا ما فيه من تحف. وهتف "**أنتوني**" وهو مازال يتطلع إلى القصر:

– هذا هو المشبوه الثالث فيما أرى.. ذلك الرجل الذي عند الشاطئ.

– إنه "**بيل إيفرسلي**".. سكرتير "**جورج لوماكس**".

– إنه يبحث عن شيء ما..

– لعله يبحث عني أنا.. فلنعد إذن إلى الشاطئ.

وتلقاها "**بيل**" مرحبا، على حين مضى "**أنتوني كيد**" إلى ركن من الحديقة. وفجأة انفرجت الشجيرات عن السيد "**هيرام فيش**". كان متضرج الوجه

احمرارا وأنفاسه لاهثة مبهورة كمن كان يجري.

وأقبل السيد "**فيش**" على "**أنتوني كيد**" قائلا:

– الجو لطيف اليوم. ولم يجبه "**أنتوني**" وإنما تطلع في ساعته صامتًا.

واستدار السيد "**فيش**" متجها إلى القصر، ولبث "**أنتوني**" مكانه غارقًا في خواطره.

وانتبه "**أنتوني**" فجأة على المفتش "**باتيل**" واقفا بجواره، وأدهشه ظهوره الفجائي وسأله:

– من أين جئت؟.. هل انشقت عنك الأرض؟.. فضحك "**باتيل**" وأشار إلى خميلة الشجيرات ثم سأله:

– فيم كنت تفكر يا سيد "**كيد**"؟

– كنت أحاول أن أنسق الأحداث وأربط بينها لكي أستنتج شيئًا، ولكنني لم أوفق حتى الآن.. وبهذه المناسبة.. هل يمكنني أن أسافر غداً؟

– هذا يتوقف على المكان الذي تنوي أن تذهب إليه..

– سأسافر غداً– بعد جلسة التحقيق– إلى "**دينارد**".. وبالتحديد إلى قصر الأميرة "**دي بروتيل**"، على أن أعود مساء الأحد..

– لك ذلك إن شئت.. على أن تعود في الموعد المحدد.

واستأذن "**أنتوني**" في الانصراف، ومضى إلى قاعة الدرس ليقابل "المربية" المرأة التي أثارت شكوكه. ولكن ما إن وقع بصره عليها حتى أدرك أنه كان مخطئا في حقها، وأنه ظلمها.

كانت الآنسة "**برون**" امرأة في منتصف العمر، وخط الشيب رأسها، وتعلو وجهها مسحة من الطيبة وسلامة الطوية. إنها لا تصلح أبدا لأن تكون مغامرة خطرة، ولا يمكن أن يكون لها ضلع في هذه الأحداث.

*****

في ذلك المساء وهو في غرفته إذا بالباب يفتح، وإذا برجل ضخم الجسم، شرقي السمات ينتصب قائماً في مدخله. وتقدم الرجل إلى داخل الغرفة دون استئذان، وسأله "أنتوني" في خشونة:

– من أنت؟.. وماذا تريد؟.. وأجاب الرجل:

– إنني "**بوريس أنشوكوف**" وصيف الأمير "**ميشيل**".. لقد خدمت مولاي في تفان وإخلاص، والآن وقد مات فإنني أريد أن أخدمك.

– إنني لست في حاجة إلى وصيف، كما أنني لا أستطيع أن أتحمل أجرك.

فجثا عند قدمي "**أنتوني كيد**" وهو يقول:

– ولكنني لا أريد أجرا.. سأخدمك حتى الموت وبلا أجر. وعند هذه الكلمات انبعث واقفاً، وغادر الغرفة مسرعا.

وغمغم "**أنتوني**" يخاطب نفسه: «يا له من كلب أمين وفي»!

- 17 -

عقدت جلسة التحقيق في صبيحة اليوم التالي، ولم تستغرق إلا فترة وجيزة، إذ اقتصرت على الإجراءات الروتينية المألوفة. وما إن انفضت الجلسة حتى بادر "**أنتوني**" إلى السفر، وتلقى "**بيل إيفرسلي**" نبأ رحيله بمزيد من الارتياح، إذ كان يرى فيه منافسا خطيرا توليه "**فرجينيا**" من الرعاية والاهتمام ما يثير ضيقه، أما "**جورج لوماكس**" فظل في القصر يدير منه الشؤون العاجلة لوزارته مستعيناً بـ"**بيل**". وفي نهاية السهرة أوى "**بيل إيفرسلي**" إلى فراشه متعبًا مكدوداً، ولم يلبث أن غرق في نوم عميق. واستيقظ بعد فترة من الوقت، على صوت "**فرجينيا**" وهي تناديه. وأحس بها تهزه.. ففتح عينيه المثقلتين، وغمغم في صوت ناعس:

– أهذه أنت يا "**فرجينيا**"؟.. ماذا تريدين؟

– استيقظا.. لقد مضى دهر وأنا أحاول أن أوقظك.

– ولكن ماذا جرى؟ وقصت عليه ما جرى.. هناك شيء غريب يحدث في قاعة الاجتماعات.. لقد خُيِّل إليها أنها سمعت بابًا ينصفق، فقامت تتبين مصدره، فسمعت حركة داخل القاعة. فقال "بيل":

– لعلهم لصوص؟ فأجابت:

– انهض وكن بطلا. ونهض مسرعا ليثبت لها أنه بطل، وقال:

– سأنزل بالبيجامة– طبعا– حتى لا أضيع الوقت في إبدال ثيابي، ولكني سألبس الحذاء.

وانتعل الحذاء، وتسلل من الغرفة و"فرجينيا" تحذره:

– لا تحدث ضجة.

وهبطا الدرج في هدوء، واقتربا من قاعة الاجتماعات، وتطلعت "فرجينيا" من ثقب القفل ثم عادت إليه هامسة:

– في الغرفة رجل يفك الدرع قطعة بعدقطعة. فما الذي يبغيه اللصوص من حامل الدرع؟

– وكم رجلا هناك؟

– لا أدري.. لعله رجل واحد.. أو رجلان.. الغرفة مظلمة، ولكنه يحمل بطارية.

ونظر "بيل" بدوره من الثقب، ثم ارتد إليها هامسًا:

– ثقب الباب لا يكشف من الشخص الذي في الداخل إلا جزءًا من ظهره، فربما كان رجلا، وربما كانت امرأة.

ثم استطرد هامسًا:

– سأفتح الباب بهدوء وأتسلل إلى الداخل لأنقض عليه، وفور أن أصيح بك «هيا» أسرعي إلى زر النور وأضيئي الغرفة.. إنك تعرفين بالتأكيد مكان الأزرار؟

– بجانب الباب تماما.. عند مستوى الرأس.

وأدار المقبض في خفة، ودفع المصراع رويدا رويدا في حرص وحذر، ومشى بضع خطوات إلى الداخل مقتربا من الشبح، على حين وضعت "فرجينيا" أصبعها فوق زر النور الكهربائي مترقبة الإشارة. وفجأة هتف "بيل" :

– هيا!.. وقفز في اتجاه الشخص الذي يحمل البطارية. وضغطت "فرجينيا" زر النور الكهربائي.

وسقطت البطارية على الأرض وانطفأت، وتوقع "بيل" أن يغمر الضوء المكان، ولكن القاعة ظلت غارقة في الظلام. وسمعت الفتاة "بيل" يسب ويلعن، وفي اللحظة التالية تعالت أصوات ارتطام وتأوهات وصراع عنيف يدور في الظلام. وجمدت "فرجينيا" في مكانها لا تدري ماذا تفعل، بيد أنها ارتدت إلى الباب تقف في مدخله لتسد الطريق فتحول دون اللص ومغادرة الغرفة. وفي اللحظة التالية انطلقت صرخات استنجاد مدوية، وتناهى إلى سمعها أصوات أبواب تفتح في الطابق الأعلى. وفي نفس اللحظة سمعت صوت ارتطام شديد داخل القاعة، وأدركت أن شخصاً ما تعثر في شيء ما وسقط على الأرض، كما رأت شبحاً يسرع إلى باب الشرفة وينفذ منه إلى الخارج راكضاً. وتخلت "فرجينيا" عن موضعها في فجوة الباب، وأسرعت إلى باب الشرفة وراء الهارب، ولكنه كان قد أفلت مبتعدا فعبر الشرفة، وتوارى عند ناصيتها، ومضت الفتاة تتبعه في جرأة وشجاعة، وعندما دارت حول منعطف الشرفة إذا بها تصطدم برجل برز فجأة من باب جانبي محاولا أن يمسك بها. وكان هذا الرجل هو السيد "هيرام فيش".

وهتف السيد "فيش" :

– يا إلهي!.. سيدة!..

وأردف :

– السيدة "**ريفيل**" !.. لقد حسبتك اللص الهارب.

وقالت "**فرجينيا**" :

– لقد هرب من هذه الناحية.. هل يمكن أن نلحق به؟

ولكنه كان سؤالا سخيفا ليس له إلا جواب واحد، هو أن اللحاق باللص الهارب أصبح مستحيلا.

ورجعا معا إلى القاعة، وكانت مكتظة بالخدم، كما جاء إليها الأمير "**كاترهام**" وابنته "**باندل**". وروت لهم "**فرجينيا**" ما حدث.

وتساءلت "**باندل**" :

– ولكن ما الذي حدث للنور؟ وعرفوا الجواب على الفور إذ كانت المصابيح الكهربائية قد نزعت من مواضعها وصفت على رف المدفأة. وقال الأمير متسائلا :

– وكم كان عدد اللصوص؟ وأجابت "**فرجينيا**" :

– رجل واحد.. وقد هرب من باب الشرفة. ولكن يُخيّل إليّ وأنا أطارده أنني سمعت حفيف ثوب لشخص آخر يتسلل من باب القاعة، ولكن ربما كنت واهمة. ودخل "**بيل إيفرسلي**" من باب الشرفة لاهث الأنفاس وهو يردد ساخطًا :

– لقد أفلت مني.. عليه اللعنة.

- 18 -

حين نزل "**أنتوني كيد**" من القطار بعد ظهر اليوم التالي كان أول شخص وقع عليه بصره هو المفتش "**باتيل**" واقفا على رصيف المحطة. وقال له "**أنتوني**" :

– لقد رجعت في الموعد المحدد، فهل جئت لتتأكد من أنني بررت بعهدي؟

فأجاب المفتش :

– كنت أعرف أنك لن تحنث في كلمتك، كل ما هنالك أنني مسافر الآن إلى

"**لندن**" .

– إني لأتساءل عن السبب . ولكن الشرطي لاذ بالصمت، فقال "**أنتوني**" باسمًا ومتهكمًا:

– يجب أن أشهد لك يا عزيزي "**باتيل**" بأنك ميال إلى الثرثرة. وقال "**باتيل**" :

– والآن كيف انتهت مهمتك يا سيد "**كيد**" بشأن الآنسة "**برون**" ؟

– انتهت إلى الفشل التام، فقد ثبت لي أنها بمنأى عن الشبهات.. لقد اشتبهت فيها لعدة أسباب: أولا– لأن غرفتها أضيئت بعد إطلاق الرصاص مباشرة ثم أطفئت في الحال.. وثانيًا– لأنني عرفت أنها حديثة العهد بالالتحاق بخدمة القصر.. وثالثًا– لأنها فرنسية الجنسية فقلت لنفسي لعل لها صلة بذلك الفرنسي الذي فاجأته يتلصص حول مخزن القوارب. فقال "**باتيل**" :

– ذلك الفرنسي الذي يدعو نفسه السيد "**شيل**" والمقيم في فندق "**كريكيت**" ؟

– هو بعينه.. ولذلك ذهبت إلى مقابلة الأميرة "**دي بروتيل**" التي عملت عندها الآنسة مدة عشر سنوات، وسألتها عنها فأكدت لي صحة الأمر، وأرتني صورتها ووجدتها تشبهها.. فضحك "**باتيل**" وقال:

– ولكن فاتك شيء يا سيد "**كيد**" ؟

أليس من الجائز أن تكون الآنسة "**برون**" متنكرة على صورة المربية القديمة التي كانت تعمل عند الأميرة..؟ إن التنكر هو أسهل شيء عند النساء، وذلك على عكس الرجال. وبهذه المناسبة هناك رجل يجيد التنكر إلى حد مذهل. إنه الملك "**فيكتور**" .. ألم تسمع باسمه من قبل..؟ فأجاب "**كيد**" :

– لقد قرأت عنه شيئًا في الصحف.. فأين هو الآن؟

– هذا سؤال مازلنا نجهل الرد عليه، وإن كنا لا نستبعد أنه الآن ضمن ضيوف

القصر متنكراً ونحن لا ندري.

وساد الصمت هنيهة و"**باتيل**" يتأمله بنظرة فاحصة، ثم سأله:

– ما رأيك في حادث "**استينز**".

– حادث "**استينز**"..! ما هو هذا الحادث..؟

– إنه منشور في الصحف.. لقد عثروا على جثة أجنبي قتيل على جانب الطريق، وثبت أنه خادم إيطالي يدعى "**جيوسيب**". وقبل أن يجيب "**أنتوني**" وصل القطار فصعد إليه "**باتيل**" مسرعًا، وتنهد "**أنتوني**" ارتياحًا.

وعاد "**أنتوني**" أدراجه، وسلك الطريق الذي اتخذه ليلة أن تسلل إلى القصر من فوق السور ساعة مصرع الأمير "**ميشيل**"، فوقف يتأمل البناء مفكرًا.. ترى هل كانت النافذة التي انبثق منها الضوء بعد إطلاق الرصاص هي حقًّا النافذة الثانية..؟ وهنا اكتشف "**أنتوني**" شيئًا أذهله.. كان البناء عند الناصية منحرفًا قليلا، فإذا نظرت إلى القصر بدا لك أن الضوء سطع في الغرفة الثانية، ولكن إذا ابتعدت خطوة واحدة ظهرت غرفة أخرى مرتدة إلى الخلف قليلا، فتكون هناك نافذة ثالثة لا يمكن أن تراها وأنت في الموضع الأول. فمن أيهما انبثق الضوء..؟ أمن النافذة الثانية أم الثالثة..؟ إن الاحتمالين جائزان.

والتقى في الحديقة بـ"**تريدويل**" رئيس الخدم، وسأله عمن يشغل الغرفة الثالثة التي تقع فوق قاعة الاجتماعات، فأجاب:

– إنه السيد "**فيش**" يا سيدي.

ثم أردف "**تريدويل**":

– هل سمعت بما حدث ليلة الأمس يا سيدي..؟

– كلا، فقد كنت مسافراً.. ولكن ما الذي حدث..؟

– لقد سطا بعض اللصوص على قاعة الاجتماعات، ولكنهم لم يسرقوا شيئًا، وإنما فكوا درع الفارس إلى قطع صغيرة.

– هذا عجيب.. ترى ماذا كان هدفهم..؟ وتلقاه السيد "**إيزاكستين**" في قاعة الاستقبال بنفس السؤال:

– هل بلغك ما حدث ليلة الأمس..؟

وروى له القصة من جديد.. ثم أردف:

– الآن وقد انتهت جلسة التحقيق يصر "**باتيل**" على استبقائنا في القصر وعدم التصريح لنا بالسفر؟ إن لدي ما يدعوني إلى السفر فوراً.. ولكن أين "**باتيل**" فإني لم أره اليوم؟

– لقد سافر إلى "**لندن**" وسيعود غداً، فقد التقيت به في المحطة مصادفة..

وجاء الأمير "**كاترهام**" إلى القاعة وفي أعقابه "**فرجينيا ريفيل**" والسيد "**فيش**"، ومن جديد عاد السيد "**فيش**" يروي القصة مرة أخرى، ثم قال:

– تصور يا سيد "**كيد**" إنني التقيت بالسيدة "**ريفيل**" في الشرفة وحاولت أن ألحق به، إلا أنني خُيّل إليّ أنني سمعت حفيف ثوب لشخص. وهمست "**فرجينيا**" تخاطب "**أنتوني**":

– تعال إلى مخزن القوارب، فإن لدي ما أحدثك به.

وبعد قليل تسلل "**أنتوني**" إلى مخزن القوارب، وما لبثت "**فرجينيا**" أن لحقت به وفي صحبتها "**بيل إيفرسلي**". وروت له "**فرجينيا**" حكاية السطو الذي حدث ليلة الأمس وقالت:

– وبعد أن فك اللص الدرع وفحصه قطعة قطعة، أخذ ينقر على الجُدر الخشبية، ويستمع إلى الرنين باهتمام. فقال "**أنتوني**":

– هذا عجيب.. لا شك أن اللص كان يبحث عن شيء اعتقد أنه مخبأ داخل الدرع، فلما لم يجده أخذ ينقر على الجُدر ظنا منه أن وراءها مخبأ سريا، أو لعله كان يعتقد أن وراء الجدار الخشبي نفقا أو سلمًا خفيًّا.

– هذا محتمل.. فلقد سمعت وأنا بعد طفلة صغيرة أن في القصر نفقًا سريًّ

بينه وبين الدير وإن كنت لا أعرف مكانه. فقال "**أنتوني**" :

– عليك إذن أن تغري الأمير "**كاترهام**" بأن يرشدك إلى النفق إذ لا شك أنه يعرف موضعه. ثم أردف يسألها :

– أكان لصًا واحدًا أم أكثر؟

– لا أدري.. ولكنه عندما أفلت من باب الشرفة حاولت أن ألحق به، خُيّل إليّ أنني سمعت حفيف ثوب لشخص آخر يتسلل من باب القاعة إلى البهو، ولكن لعلي كنت واهمة. فقال "**أنتوني**" :

– ولعلك أيضًا كنت على حق، وهذا ما يجعلني أتساءل عن السر في أن السيد "**فيش**" كان مرتديًا ثيابه كاملة..؟ صياح وصرخات استنجاد ومع ذلك لا يبادر السيد "**فيش**" إلى النزول إلا بعد أن يلبس البذلة.. فالتفسير الوحيد المعقول هو أنه لَم يكن نائمًا كما يزعم. وقالت "**فرجينيا**" :

– وهناك أيضًا السيد "**إيزاكستين**" الذي ظل نائمًا على الرغم من هذه الضجة الداوية. وقال "**بيل**" :

– هناك أيضًا ذلك الخادم "**بوريس أنشوكوف**" وصيف الأمير "**ميشيل**".. إنه محل للشبهات، لم لا يكون هو ذلك اللص الخفي؟ وقالت "**فرجينيا**" :

– إن القصر مكتظ بالمشبوهين، فقد رأيت ذلك الفرنسي أكثر من مرة يتجول في الحديقة. وقال "**أنتوني**" :

– إن "**باتيل**" موجود الليلة في "**لندن**"، ولا شك أن أعداءنا يعرفون ذلك، ولهذا لابد أن يغتنموا الفرصة للسطو مرة أخرى على قاعة الاجتماعات ليجددوا البحث عن ذلك الشيء الذي يسعون وراءه. فما رأيكم في أن نقوم نحن الثلاثة بالحراسة الليلية.

وهكذا ما إن فرغ الضيوف من العشاء حتى صعدوا إلى مخادعهم. وما إن ساد القصر السكون حتى تسلل الحراس الثلاثة– "**أنتوني**" و"**بيل**" و"**فرجينيا**"– من

غرفهم، وهبطوا إلى قاعة الاجتماعات.

تفرقوا في أرجاء القاعة مترقبين متربصين، وأخذ الوقت يمر تباعًا دون أن يحدث شيء.

وفجأة توترت أعصاب الحراس الثلاثة، وأمسكوا أنفاسهم، فقد سمعوا حفيفًا خافتًا عند باب الشرفة، ثم رأوا شبحًا ينفذ منها إلى الداخل. اقترب الشبح الخفي من الجُدر، وأضاء بطاريته، ثم أخذ ينقر على الجُدر نقرات خفيفة وينصت. وفجأة أحس "**بيل**" أنه يريد أن يعطس. حاول أن يكتم العطسة ويخنقها.. ولكن بلا جدوى.. وانطلقت العطسة مدوية. وانقض "**أنتوني**" على الشبح واشتبك معه وهو يصرخ:

– النور..! وأسرعت "**فرجينيا**" تضيء النور، وكان الشبح راقدًا على الأرض، و"**أنتوني كيد**" جاثمًا فوق صدره، و"**بيل**" فوق الاثنين. وأدار "**أنتوني**" وجه الرجل، وسلط عليه الضوء، فإذا هو ذلك الغريب الفرنسي الملتحي نزيل فندق "**الكريكيت**". وفجأة برز كبير المفتشين "**باتيل**" في الغرفة، فقال له "**أنتوني**":

– لقد حسبتك في "**لندن**".

فأجاب "**باتيل**" ضاحكًا:

– إنها خدعة جازت على الجميع، فإني لم أبرح القصر لحظة واحدة، كنت متواريًا أرصد المكان.

- 19 -

نهض الغريب الفرنسي ينفض ثيابه وهو يقول:

– معذرة أيها السادة.. كان ينبغي أن أصارحكم بالحقيقة منذ اللحظة الأولى.. إني لست لصًا، ولكنني شرطي سري من إدارة الأمن في "**باريس**".

فقال "**باتيل**" :

– لقد كنا ننتظر قدومك منذ أيام، وعجبنا لتخلفك. فقال "**أنتوني**" :

– وما هو الدليل على أنك شرطي فرنسي؟ وقدم إليهم الرجل ما لديه من مستندات وبطاقة تحقيق الشخصية، وعرفوا منها أنه يدعى "**ليمون**" من شرطة "**باريس**" . وقال المفتش "**باتيل**" :

– أرجو يا سيد "**ليمون**" أن تقص على الحاضرين السبب في حضورك إلى "**لندن**" ، إذ لا داعي الآن لأن نكتم عنهم شيئًا ما داموا بعيدين عن الشبهات.

وقال الشرطي الفرنسي:

– فليكن.. لقد أخطرت إدارة الأمن العام في "**باريس**" السيد "**باتيل**" بحضوري، وحضرت فعلا، ولكني آثرت ألا أتصل به، وأن أقوم بأبحاثي في الخفاء، عسى أن يكون في ذلك ما يسهل مهمتي ما دام أصحابنا لا يعرفون أنني من رجال الشرطة. وسكت هنيهة يستجمع شوارد ذهنه ثم استطرد:

– لقد ظهر في "**فرنسا**" لص جواهر شديد الجرأة، عرف في ملفاتنا باسم الملك "**فيكتور**" ، وعجزنا عن القبض عليه أو اكتشاف شخصيته الحقيقية، وإن توافرت لدينا قرائن قيمة على أن اسمه الحقيقي هو النقيب "**أونيل**" ، ولكن لم يكن لدينا دليل قاطع، وكانت تقيم في "**باريس**" راقصة وممثلة مغمورة تدعى "**إنجيل موري**" اشتبهنا في أنها شريكة للملك "**فيكتور**" وتعمل معه، وإن لم يتوافر لدينا دليل قاطع أيضًا ضدها.

وفي ذلك الحين رأى "**نيقولا الرابع**" ملك "**هيرزوسلوفاكيا**" السابق أن يزور "**باريس**" ، فقررت إدارة الأمن أن تفرض عليه حراسة قوية؛ خشية أن يحاول الحزب الثوري– المعروف بـ"إخوان اليد الحمراء"– اغتيال الملك.

وأراد الإخوان أن يستدرجوا الملك إلى مكان معين في وقت معين لكي تتاح لهم فرصة اغتياله، فعهدوا بهذه المهمة إلى الممثلة "**إنجيل موري**" ، ونقدوها فعلا

مبلغًا ضخمًا من المال. واستطاعت الفتاة أن تلقي بنفسها في طريق الملك وهو يزور ملاهي "**باريس**"، فاتخذها عشيقة له.

ولكن "**إنجيل**" كانت فتاة طموح، واسعة المطامع، فرأت- وقد وقع الملك في هواها، وهام بها حبا- أن تغريه بأن يتزوجها بدلا من أن تقدمه لقمة سائغة إلى "رفاق اليد الحمراء". وهكذا اقترن الملك بالممثلة المغمورة بعد أن منحها لقب الأميرة "**فاراجا**"، وقدمها إلى شعبه مدعيا أنها من سلالة آل "**رومانوف**". وأصبحت ملكة على "**هيرزوسلوفاكيا**"، وهي التي كانت من قبل لصة جواهر معروفة وشريكة للملك "**فيكتور**" أي للنقيب "**أونيل**".

وكان أن نشبت الثورة بعد ذلك في "**هيرزوسلوفاكيا**" وأراد "رفاق اليد الحمراء" أن ينتقموا من المرأة التي خانتهم وغدرت بهم، فبعد أن قتلوا الملك في أثناء الثورة ألقوا بالملكة على سلم القصر، فتلقاها الجمهور الثائر وقيل إنها قتلت في أثناء الشغب.

وثمة شيء آخر... بعد أن ارتقت "**إنجيل موري**" العرش ظلت على اتصال بشريكها الملك "**فيكتور**" ولم تقطع صلتها به؛ إذ كانت كما ذكرت عشيقته أيضًا في أثناء عملها بالمسرح، ومضت تكاتبه باسم النقيب "**أونيل**" وهي ملكة على "**هيرزوسلوفاكيا**"، ولكنها درءا للشبهات كانت تذيل رسائلها إليه باسم مستعار، وكان الاسم الذي اتخذته لنفسها هو "**فرجينيا ريفيل**". وهتفت "**فرجينيا**":

- يا إلهي..! هذا هو اسمي..!

- تمامًا... وكانت تفعل ذلك؛ حتى يتبادر إلى ذهن من تقع رسائلها في يده أنك أنت صاحبتها، وكنت أنت إذ ذاك يا سيدة "**ريفيل**" مقيمة في "**هيرزوسلوفاكيا**" مع زوجك الموظف في السفارة البريطانية.

- يا لها من حيلة دنيئة..! فقال الفرنسي:

– ولكنها حيلة بارعة. ثم استطرد:

– وبعد سقوط الملكية في "**هيرزوسلوفاكيا**" اكتشفت الحكومة الجديدة أن معظم جواهر الملكة كانت زائفة مقلدة. وكان واضحًا من هذا أن "**إنجيل موري**" وهي ملكة على البلاد ظلت تواصل مهنتها القديمة وهي سرقة الجواهر، فكانت تنتزع الجواهر الحقيقية من الحلي الملكية وتبعث بها إلى شريكها في "**باريس**" الملك "**فيكتور**" وتضع مكانها أحجاراً مقلدة.

واتفق في ذلك العهد أن زار "**نيقولا الرابع**" "**إنجلترا**" مع زوجته، ونزلا في قصر "**شيمنيز**" ضيوفا على وزير الخارجية السابق الماركيز "**كاترهام**" الكبير شقيق الأمير الحالي، وجاءت معها بالجوهرة الشهيرة المعروفة باسم "**كوهينور**" ونزعتها من التاج الملكي، وخبأتها في القصر في مكان خفي مجهول، حتى يستولي عليها شريكها الملك "**فيكتور**" بعد رحيلها. وكتبت إليه خطابًا تنبئه فيه بمخبأ الجوهرة الشهيرة، وكانت رسالتها إليه مكتوبة بشفرة متفق عليها. وكان اختفاء الجوهرة من التاج الملكي في أثناء وجود الملكة في قصر "**شيمنيز**" مثيراً للدهشة. ولكن إدارة الشرطة كانت على يقين بأن الملكة هي التي سرقتها بنفسها؛ ولذلك تكتم البوليس الأمر وحفظ التحقيق. وتساءلت "**فرجينيا**":

– وهل استولى الملك "**فيكتور**" على الجوهرة؟

– كلا يا سيدتي.. فبعد عودة الملك وزوجته إلى "**هيرزوسلوفاكيا**" باسبوعين نشبت الثورة في البلاد، وقتل الاثنان، وحدث في نفس الوقت أن قبضت شرطة "**باريس**" على الملك "**فيكتور**"، أي النقيب "**أونيل**"، وقدم إلى المحاكمة، وحكم عليه بالسجن سبع سنوات، وكنا نأمل أن نعثر على حزمة الرسائل في بيت النقيب فنعرف منها مكان الألماسة، ولكننا لم نعثر لها على أثر، واتضح لنا من تحرياتنا أن الرسائل سرقت، وأن سارقها هو الوسيط الذي كان يحمل خطابات الملكة إلى شريكها. وتدخل "**أنتوني**" في الحديث بقوله:

- وقد سافر السارق إلى "**إفريقيا**" بعد استيلائه على الرسائل وعاش هناك باسم "**بيدرو الهولندي**" .

فنظر إليه المفتش "**باتيل**" في استغراب، فقال "**أنتوني**" :

- ليس الأمر رجمًا بالغيب يا سيد "**باتيل**" ، وسوف أروي لك بعد قليل كيف عرفت هذا.

واستطرد الشرطي السري الفرنسي قائلا:

- وعندما اختفت الماسة "**كوهينور**" كان الأمير "**أستيل بيتش**" مقيمًا أيضًا مع الملك وزوجته الملكة "**فاراجا**" في قصر "**شيمنيز**" ، ويبدو أنه أدرك الحقيقة. وعرف أن الملكة "**فاراجا**" هي السارقة، فسجل ذلك في مذكراته. ولهذا أخذت الأحزاب تتطاحن على الاستيلاء على هذه المذكرات، فالحزب الملكي يريدها لكي يعدمها؛ حتى لا يعرف أن الملك "**نيقولا الرابع**" كان متزوجًا بلصة جواهر معروفة، والحزب الجمهوري يريد المذكرات حتى يذيعها على الناس تشهيرًا بالملك السابق فلا تعود هناك فرصة أمام الأمير "**ميشيل**" لارتقاء العرش وعودة الملكية إلى "**هيرزوسلوفاكيا**" .

وبعد صمت قصير عاود المفتش "**ليمون**" الحديث قائلا:

- فلما وقع السطو على القصر لم يداخلني شك في أن الملك "**فيكتور**" هو الذي قام بهذه العملية؛ لكي يستولي على الماسة "**كوهينور**" ، ويبدو أنه لا يعرف مكانها على وجه التحديد، وإن كان يعرف أنها مخبأة في قاعة الاجتماعات؛ ولذلك أخذ يبحث عنها في درع الفارس، فلما لم يجدها أخذ ينقر على الجدار الخشبي بحثًا عن مخبأ سري مجوف. وقد فشلت محاولته الأولى، فتوقعت أن يقوم الليلة بمحاولة ثانية، فجئت إلى القاعة متسللا لأرقب ما يحدث، ففاجأني السيد "**أنتوني كيد**" ورفاقه ظنا منهم أنني ذلك اللص.

وعلى أية حال يجب ألا يغيب عنا أيها السادة أن الملك "**فيكتور**" لن يهدأ له

بال حتى يستولي على الماسة "**كوهينور**". ورمى "**ليمون**" ببصره إلى ناحية النافذة قائلا:

– لقد أوشك ضوء النهار أن ينبثق، فمن المستبعد أن يقوم الملك "**فيكتور**" بمحاولة جديدة الليلة، فاولى بنا الآن أن نصيب شيئًا من النوم. ونهضوا جميعا، وانصرفوا لائذين بمخادعهم.

- 20 -

عند باب القاعة لمس "**أنتوني كيد**" ذراع "**باتيل**" قائلا:

– لحظة واحدة يا سيد "**باتيل**" فإني أريد أن أتحدث إليك.

وارتدا ثانية إلى القاعة، على حين تابع الآخرون طريقهم إلى مخادعهم، وأشعل "**أنتوني كيد**" سيجارة وقال:

– إنك حدثتني عن حادث "**استينز**".. أعني حادث ذلك الخادم الإيطالي "**جيوسيب**" الذي وجدت جثته على جانب الطريق.

– تماما، فهل لديك معلومات عن هذا الحادث؟

– كلا.. ولكن أريد أن أوجه إليك سؤالا.. هل يعتقد البوليس أن الرجل قُتل في المكان الذي وجدت فيه جثته، أم أنه قُتل في مكان آخر، ثم نقلت الجثة إلى طريق "**استينز**"؟ فأجاب "**باتيل**":

– بل قتل في مكان آخر ثم نقلت الجثة. وتأمله "**باتيل**" بنظرة فاحصة وأردف يسأله وهو يضغط الكلمات:

– سيد "**كيد**".. هل تعرف من الذي نقل الجثة إلى طريق "**استينز**"..؟ وفي غير تردد أجاب "**أنتوني**":

– أنا الذي نقلتها. وظل "**باتيل**" هادئ القسمات لم تذهله المفاجأة. واستطرد "**أنتوني**":

– أتريد مني أن أروي لك القصة؟

– أرجو يا سيد "**كيد**" .

وروى له القصة بحذافيرها . . كيف زار السيدة "**ريفيل**" ليحدثها عن الرسائل الغرامية المذيلة باسمها وكيف سرقها الخادم الإيطالي، فإذا بهما يجدان جثة الخادم في بيتها في قاعة المكتبة، فاتفقا على إخفاء الأمر عن الشرطة، وقام "**أنتوني**" بنقل الجثة إلى طريق "**استينز**" . وقال "**باتيل**" :

– سيد "**كيد**" . . يجب أن انبهك إلى أنك تقدم على مغامرات خطيرة، وفي يوم من الأيام ستجد نفسك متورطًا في مغامرة قد تؤدي بك إلى السجن. ولهذا يجب أن تكون على حذر في تصرفاتك مستقبلا .

– شكراً لك، ولكني رجل تسري في دمائه روح المغامرة. ثم أردف :

– آه! لقد نسيت أن أخبرك عن مكان المسدس الذي قُتل به "**جيوسيب**" . لقد خبأته بين فروع إحدى الأشجار. ووصف له مكان الشجرة.

– وبهذه المناسبة هل عثرتم على المسدس الذي قُتل به الأمير "**ميشيل**" . .؟

– ليس بعد، وإن كنا قد فتشنا عنه في كل مكان محتمل.

– ولكن ما رأيك في مصرع "**جيوسيب**" ؟

– أغلب الظن أن "رفاق اليد الحمراء" هم الذين قتلوه حينما لم يعد إليهم بمذكرات الأمير "**أستيل بيتش**"، فقد ظنوا أنه استولى عليها واحتجزها لديه ليستغلها بنفسه ولحسابه. والآن طابت ليلتك يا سيد "**كيد**"، وإلى اللقاء في الصباح.

ومضى السيد "**كيد**" إلى مخدعه، وما إن فتح الباب وخطا إلى الداخل حتى وقف مذهولا، فاغر الفم.

فهناك على المنضدة كانت حزمة الرسائل الغرامية التي سرقها منه الخادم الإيطالي "**جيوسيب**" . . !

كانت الرسائل كاملة سليمة لا ينقص منها شيء.

كيف ظهرت الرسائل فجأة..؟ ومن الذي وضعها في غرفته..؟ وما السبب ي إعادتها إليه..؟

أسئلة دارت في خاطره دون أن يجد لها جوابًا.

- 21 -

في العاشرة من صباح اليوم التالي كان الأمير "**كاترهام**" جالسا إلى المائدة يتناول فطوره مع ابنته "**باندل**".

وسألته الفتاة:

– لقد رأيتك منذ لحظات تتهامس مع المفتش "**باتيل**"، فماذا كان يريد منك؟

– الحق أنك فتاة فضولية تحشر أنفها فيما لا شأن لها فيه. ثم أردف:

– لقد أخبرني بأن لا مانع لديه من أن يسمح لضيوفي بالسفر ومغادرة القصر، ولكنه في الوقت نفسه طلب إليّ أن أحاول أن أحتجزهم وأن أبقيهم في ضيافتي فترة من الوقت.

– يا له من رجل لا يستقر على رأي!

– لا شك أن له هدفًا من وراء هذا التناقض... ولقد تحدثت إلى "**أنتوني**" فابدى رغبته في البقاء، أما "**إيزاكستين**" فقد رأى أن يبادر بالسفر؛لأن لديه أعمالا مهمة في "**لندن**" لابد من إنجازها، فارجو أن تأمري بإعداد سيارته ليلحق بقطار الحادية عشرة.

– والسيد "**فيش**".. أينوي السفر؟

– لم أتحدث إليه بعد، وليته يسافر، فقد ضقت به.

– وهل أطلعته على الطبعات الأولى للكتب القديمة التي جاء خصيصًا

لمشاهدتها؟

– لقد أطلعته عليها، ولكنه ضايقني بابتسامته، إذ لم يكن يعقب بكلمة أو يبدي رأيا، كأنه جاهل بها لا يفهم شيئًا مما أقول.

وفرغت "**باندل**" من طعامها، وغادرت القاعة إلى الحديقة، وفي أعقابها جاء السيد "**هيرام فيش**"، وأقبل على الأمير "**كاترهام**" يسأله:

– هل صحيح ما بلغني من أنه مباح لنا الآن أن نغادر القصر ونسافر؟ فأجابه الأمير:

– نعم.. فقد أخطرني المفتش "**باتيل**" بذلك منذ لحظات.. ولست ألومك إن كنت راغبًا في المبادرة إلى الرحيل.

– لقد أسأت فهمي يا سيدي الأمير، فإني أود أن أبقى قليلا؛ لأستمتع بضيافتك الكريمة.

وغمغم الأمير "**كاترهام**" ببعض الكلمات مرحبا بضيفه، وإن كان في قرارة نفسه ساخطا على بقائه.

وجاءت "**فرجينيا ريفيل**" فتناولت فطورها متعجلة، ثم خرجت إلى الشرفة، واستوت مسترخية على أحد المقاعد. ولحق بها المفتش "**باتيل**" بعد لحظات، وأخذ لنفسه مقعداً بجانبها، وقال يسألها:

– سيدة "**ريفيل**".. هل لك أن تحدثيني قليلا عن السيد "**أنتوني كيد**"..؟ وأن تفضي إليّ بكل ما تعلمين عنه.

فتطلعت إليه في دهشة وقالت:

– السيد "**كيد**"..؟!

– نعم. متى تقابلتما لأول مرة وكم مضى منذ تعرفت به؟ فقالت في شيء من التردد:

– إنه صديق عزيز، وقد أدى لي خدمة كبيرة.... فقاطعها بقوله:

– يجب أن أصارحك يا سيدة "**ريفيل**" – قبل أن تمضي في حديثك – بأن السيد "**كيد**" حدثني ليلة أمس بما كان من أمر حزمة الرسائل الغرامية، والرجل الذي وجد مقتولا في بيتك. فهتفت مرتاعة:

– رباه..! هل فعل ذلك حقًا..؟

– وقد أحسن بما فعل، فإن كتمان الحقائق عن الشرطة قد يؤدي إلى أوخم العواقب. ولكن فاتني أن أسأله عن بداية تعارفكما، وإن كنت أعتقد أنكما لم تتقابلا إلا يوم أن جاء يحدثك عن الرسائل الغرامية. فقالت:

– هذا صحيح.

– ألم يفض إليك بشيء عن ماضي حياته..؟ أين كان قبل أن يستقر في "**إفريقيا**"..؟ أكان في "**كندا**" مثلا..؟ ألم يحدثك بشيء عن صباه..؟ فهزت رأسها نفيا، فاستطرد "**باتيل**":

– إنه رجل جريء مغامر، حياته حافلة بالمخاطر.. هذا واضح في سلوكه وتصرفه، فهل يمكن أن أعتمد عليك في استدراجه إلى الحديث عن نفسه..؟ فقالت "**فرجينيا**":

– ولِمَ لا تبرق إلى صديقه "**ماك جراث**" وتسأله..؟

– وهل حسبت أنني أغفلت ذلك..؟ ولكن برقيتي لم تصل إلى "**ماك جراث**"؛ لأنه غائب في أحراش "**إفريقيا**"، ولا يعرف أحد مكانه على وجه التحديد، وإن كان قد ثبت لنا أن السيد "**كيد**" كان فعلا في "**بولا وايو**" قبل حضوره إلى "**إنجلترا**" كما قال. ولكن أين كان قبل أن يذهب إلى "**إفريقيا**" ويلتحق مرشداً بمكتب السياحة؟

ونظر في ساعته وقال:

– لقد آن لي أن أنصرف؛ إذ لا شك أن السيارة الآن في انتظاري. وتابعته "**فرجينيا**" ببصرها وهي شاردة الفكر وتمتمت قائلة:

– إنه فظيع هذا الرجل يا "**باتي**"..!

وظهر "**بيل إيفرسلي**" قادما إليها من أقصى الشرفة، وفي أعقابه رأت الشرطي الفرنسي "**ليمون**" متجهًا إليها.

وقال الفرنسي:

– ما رأيكما في أن نتريض قليلا في الحديقة..؟

ومضى وهم يتمشون يروي لهما بعض مغامرات الملك "**فيكتور**"، ولكن "**فرجينيا**" كانت تحس أن له هدفًا خفيًّا من وراء هذه النزهة، وأنه يقودهما عامدا إلى مكان معين من الحديقة.

وفجاة امسك "**ليمون**" عن المضي في القصة التي كان يسردها، وتطلع يدير بصره فيما حوله.. كانوا إذ ذاك وقوفًا عند ممشى السيارات المؤدي إلى بوابة الحديقة، عند منعطف تحف به الأشجار. وكان "**ليمون**" ينظر إلى مركبة قادمة من ناحية القصر متجهة إلى البوابة. وتابعت "**فرجينيا**" نظراته وقالت:

– هذه مركبة الأثاث تحمل حقائب السيد "**إيزاكستين**" ووصيفه إلى المحطة.

– ترى هل أستطيع أن أركب هذه المركبة إلى القرية؟

وخرج إلى عرض الطريق واستوقف العربة وتحدث إلى السائق، ثم قفز إلى الصندوق الخلفي واستوى على الحقائب المرصوصة، وتابعت السيارة طريقها؛ وما إن دارت العربة حول المنعطف حتى انزلقت منها إحدى الحقائب، وسقطت على الأرض. وقالت "**فرجينيا**":

– يبدو أننا سنشهد شيئًا طريفًا.. هذه الحقيبة لم تنزلق عفواً من العربة، وإنما قذفت منها عمداً.

وهرعا إلى حيث سقطت الحقيبة، وقبل أن يبلغاها ظهر "**ليمون**" فجأة من وراء المنعطف لاهث الأنفاس وهو يقول:

– لقد اضطررت إلى مغادرة السيارة؛ لأنني تذكرت أنني نسيت شيئًا.

والتقط الحقيبة وجرى بها إلى ما وراء الأشجار، وأخرج من جيبه بعض الأدوات، ودسها في ثقب القفل وفتحها، ودس يده تحت الثياب يفتش فيها، وأخرج منها لفافة من الورق فضها، فانكشفت عن مسدس ضخم، فتناول مَن جيبه منديلا أمسك به المسدس، ودسه في جيبه، وأعاد إغلاق الحقيبة كما كانت، ثم ناولها إلى "**بيل**" قائلا:

– إني أسمع سيارة "**إيزاكستين**" قادمة فاستوقفها وسلمه الحقيبة.

وبرز "**بيل**" إلى عرض الطريق، على حين اختفى "**ليمون**" وراء الأشجار.

واستوقف "**بيل**" السيارة وسلم الحقيبة إلى السيد "**إيزاكستين**" فشكره المالي اليهودي، ولكن لم تغب عن "**بيل**" نظرة القلق التي لاحت في عينيه.

- 22 -

كان "**جورج لوماكس**" جالسا إلى أحد المكاتب في دير "**ديفيرون**" الملحق بقصر "**شيمنيز**" وأمامه حزمة الرسائل الغرامية يقلب فيها شاردا، وكبير المفتشين "**باتيل**" واقف أمامه يدلي إليه بتقرير موجز عن الأحداث التي وقعت في الأيام الأخيرة. وقال "**جورج**":

– ولكن الرسائل مكتوبة بالشفرة كما تقول، فمن ذا الذي يستطيع أن يحل رموزها؟ فأجابه الشرطي:

– لقد استدعيت البروفسير "**وينوود**" الذي كان يعمل في وزارة الدفاع في أثناء الحرب خبيرا للشفرة، ولا يلبث أن يصل بعد قليل، فهو القادر على فك رموزها. فغمغم "**جورج**":

– أحسنت.. أحسنت.. ولكن كيف عثرتم عليها..؟

– لقد وجدها السيد "**كيد**" على المنضدة في مخدعه، فحملها إليّ على الفور.

– هذا غريب!.. إن الأمر يبدو في نظري مثيرا للشكوك.. إننا لا نعرف شيئًا عن هذا الرجل "**كيد**"، فلم لا يكون له ضلع في هذه الأحداث؟.. ألم تحاول أن تتحرى عنه؟

– لقد تحريت فعلمت أنه كان فعلا في "**بولا وايو**" وأنه قابل السيد "**ماك جراث**" هناك، ثم سافر إلى "**إنجلترا**"، وهذا هو كل ما عرفناه حتى الآن.

– ولكن ما السبب في إعادة هذه الرسائل..؟ ألك رأي في هذا..؟ فأجاب "**باتيل**":

– نظريتي هي أن الملك "**فيكتور**" عجز عن فك رموز الشفرة فلم يعرف المخبأ السري المودع فيه الألماسة "**كوهينور**"، فأعاد إلينا الرسائل لنتولى نحن حل الشفرة حتى إذا اهتدينا إلى المخبأ انقض علينا واستولى على الألماسة. ولكنه لن يفلح في هذا إذ سنكون له بالمرصاد.

وفي طريق العودة إلى القصر التقى "**باتيل**" بـ"**أنتوني كيد**" سائرا على الطريق، فدعاه إلى الركوب معه وسأله:

– أين كنت يا سيد "**كيد**"..؟

– كنت في المحطة أستعلم عن مواعيد القطارات.

– مواعيد القطارات..؟ أتنوي أن تسافر مرة أخرى؟

– ليس في الوقت الحاضر.. وقد رأيت السيد "**إيزاكستين**" في المحطة، وكان يبدو منزعجا شديد القلق.

فقال "**باتيل**":

– هذا عجيب. فإنه رجل يعرف كيف يتحكم في عواطفه، فما الذي أثار قلقه يا ترى؟

وإذ لمح "**باتيل**" الشرطي الفرنسي "**ليمون**" سائرا. أمر سائق السيارة بالتوقف وقفز منها، وخف إلى زميله مسرعًا، ووقفا يتهامسان معا برهة، ثم رجع "**باتيل**"

إلى السيارة والتفت إلى "**كيد**" قائلا:

– لقد وجدوا المسدس الذي قتل به الأمير. فهتف "**أنتوني**" في استغراب:

– حقًّا..؟ وأين وجدوه..؟

– في حقائب "**إيزاكستين**" .

– مستحيل. ولكن من الذي وجده ؟

– المفتش "**ليمون**" .. إنه شاب ذكي.

وما إن عاد "**أنتوني كيد**" إلى القصر حتى بادرت إليه "**فرجينيا**" تروي له قصة العثور على المسدس، فعقب بقوله:

– العجيب في الأمر ألا دافع هناك يحمل السيد "**إيزاكستين**" على التخلص من الأمير "**ميشيل**" .

– هذا صحيح، فإن من صالحه أن يحافظ على حياة الأمير.

كانا يتمشيان في الحديقة وهما يتبادلان الحديث، وفجأة برز "**بوريس أنشوكوف**" من وراء الأشجار وتقدم إليهما قائلا:

– سيدي.. إن لي كلمة معك. وبسط يده إلى "**أنتوني**" بورقة فيها وهو يقول:

– لقد عثرت على هذه الورقة.. لقد سقطت من السيد الأجنبي.

وما إن تناول "**أنتوني**" الورقة ودسها في جيبه حتى أسرع "**بوريس**" منسحبًا وتوارى. وقال "**أنتوني**" :

– لعله يقصد "**ليمون**" بعبارة السيد الأجنبي. فقالت "**فرجينيا**" :

– وما يدريك أنه لا يقصد "**إيزاكستين**" ؟ فعلى الرغم من أنه إنجليزي الجنسية إلا أن سحنته اليهودية مختلفة عنا معشر الإنجليز. وتابعا مسيرتهما في الحديقة. وقالت "**فرجينيا**" :

– لعلك نادم على تورطك في هذه الأحداث؟

– نادم...؟ إني على العكس سعيد أكاد أطير فرحًا.. إني رجل ولوع بالمغامرات.

– لابد أنك في مغامراتك قد تعرضت لمخاطر عديدة.

– خطر واحد لم أتعرض له حتى الآن.. الزواج.

– هذا رأي شديد التشاؤم.

– ذلك لأني لم أجد بعد المرأة التي تصلح زوجة لي. إنها المرأة التي لها نفس طباعي.. امرأة تحب المغامرة وتعيش فيها، امرأة ذات جرأة وشجاعة، ثابتة الأعصاب، تستطيع أن تحتمل حياتي الصاخبة غير المستقرة.

– أية امرأة يمكن أن تحتملك مادامت تحبك.

– اسمعي يا سيدة "ريفيل".. إن الحب مجرد مخدر يتناوله المرء لينسى البيئة التي يعيش فيها لحظات عابرة، ولكنه لا يمكن أن يمحو الواقع.

– سيد "كيد".. أتراك قد أحببت من قبل؟

– حين أشعر بأن الحب بدأ يراودني فإني أخنقه وأهرب.. ليس للمرء أن يفكر في الحب إلا إذا كان لديه عمل يرتزق منه. ولقد كان لي عمل في يوم من الأيام ولكنني نبذته وتخليت عنه. وساد بينهما الصمت برهة، ولم تحاول "فرجينيا" أن تسأله عن كنه هذا العمل. وفجأة سألها "أنتوني":

– السيدة "فرجينيا".. إن للمرأة حاسة سادسة مرهفة، فهل شعرت يا ترى بأنني أحبك؟

فتطلعت إليه برهة، ثم قالت:

– وبالتأكيد ستخنق هذا الحب وتبادر إلى الفرار؟ فهز رأسه في وجوم وقال:

– لا أدري.. يبدو أن العمر قد تقدم بي فلم أعد قادراً على الجري والفرار؟

فأجابت "فرجينيا" في اقتضاب:

– ما أسعدني إذن أنك أصبحت عاجزاً عن الهرب!

وقبل أن ينطقا بكلمة أخرى شاهدا المفتش "**باتيل**" مقبلا عليهما من الناحية الأخرى. وقال لهما:

- أتحبان أن تشاهدا خبير الشفرة وهو يعمل؟ لقد استدعيت البروفسير "**وينوود**" من "**لندن**" ليحل رموز خطابات الملكة "**فاراجا**" حتى نعرف منها مكان الماسة "**كوهينور**"، فهيا بنا إليه.

وصحبا الشرطي إلى المكتبة، ورأيا كهلا جالسًا إلى مكتب في قاعة المكتبة وأمامه رسالة منشورة، وفي يده قلم يخط به بضعة سطور على ورقة أمامه. وأخيرا رفع رأسه وقال يخاطب المفتش "**باتيل**":

- أهذا هو ما تسميه شفرة يا عزيزي "**باتيل**"..؟ إنه مجرد عبث أطفال.. أتدعوني من "**لندن**" لمثل هذه التفاهات..؟ كان ينبغي أن أبعث إليك بواحد من صغار المساعدين. فقال "**باتيل**":

- أبهذه السرعة حللت رموز الرسائل؟

- بل رسالة واحدة.. تلك التي وردت فيها كلمة "**شيمنيز**".. إنك قلت إنها هي التي تهمك.

ونهض واقفا وهو يقول: وهاك هو الحل.. إنني عائد الآن إلى "**لندن**" وسأبعث إليك بأحد المساعدين ليتولى الرسائل الأخرى إن شئت.

- لا داعي لذلك.. وشكراً.

وحيا البروفسير الحاضرين وانصرف، وقرأ "**باتيل**" حل الشفرة، وكان هذا نصها:

«"نجحت العملية".. (أ. ب) وقف على السر ونقل الحجر من مخبئه.. فتشت حجرته فلم أجده، ولكنني وجدت قصاصة بها كلمات تشير إلى المخبأ الجديد، وهذا هو ما ورد فيها "**ريشموند**"... سبع إلى الأمام. ثمان إلى اليسار.. ثلاث إلى اليمين» وقال "**أنتوني**":

– من الواضح أن المقصود بالحرفين "أ. ب" هو الأمير "**أستيل بيتش**".. أما الحجر فهو الماسة "**كوهينور**".

وقالت "**فرجينيا**":

– وما المقصود يا ترى بكلمة «**ريشموند**»..؟ أهو قصر "**ريشموند**"..؟

فقال "**باتيل**":

– لا أظن ذلك.. إني لا أزال أعتقد أن الألماسة موجودة في مكان ما في هذا القصر بخاصة.

وفكرت "**فرجينيا**" برهة، ثم هتفت:

– آه.. لقد عرفت السر..!

- 23 -

قالت "**فرجينيا**":

– هل رأيتما لوحة "**هولبين**" في قاعة الاجتماعات..؟ إنها صورة "**الإيرل أوف ريشموند**".. فكلمة "**ريشموند**" تعني هذه الصورة. وهتف "**باتيل**" في إعجاب:

– أصبت.. إنك على حق. وقال "**أنتوني**":

– ولكن من المستحيل أن يتسع إطار الصورة ليكون مخبأ للألماسة. فقالت "**فرجينيا**":

– كلا بالتأكيد، ولكن في هذا الجدار، وغالبًا وراء الصورة مدخل النفق الذي يصل القصر بالدير والذي سبق أن حدثتكم عنه، وسوف أسأل عنه "**باندل**" فلعلها تعرفه. وأسرعت تدعو "**باندل**" لتستفسر منها. وأجابت الفتاة:

– هذا صحيح، ولكن من المستحيل أن تنفذوا منه؛ فقد تهدم النفق وسد الطريق، ولن يتاح لكم أن تسيروا فيه إلا بضع مئات من الأمتار. فقال "**باتيل**":

– ولكني أحب أن أشاهده على أية حال. إنني ذاهب إلى القرية الآن، فليكن موعد اللقاء إذن في الثالثة بعد الظهر. وفي الموعد المحدد تم اللقاء في قاعة الاجتماعات: "**باندل**" و"**باتيل**" والشرطي الفرنسي "**ليمون**" وأخيرًا "**فرجينيا**" والسيد "**كيد**". وقالت "**باندل**" :

– إذا كنتم تعتقدون أن قاتل الأمير "**ميشيل**" جاء من هذا النفق فانزعوا هذه الفكرة من رءوسكم، فإن مدخل النفق من ناحية الدير مسدود، فقد تهدم السقف ولا منفذ فيه للمرور. فأجاب "**ليمون**" :

– إننا نعرف هذا، ولكننا نبحث عن شيء آخر. فقالت "**باندل**" :

– لعلكم إذن تبحثون عن الماسة "**كوهينور**" التي اختفت فجأة.. لا تدهشوا.. لقد سمعت القصة وأنا بعد طفلة صغيرة. واقتربت "**باندل**" من صورة "**الإيرل أوف ريشموند**" وقالت في لهجة مسرحية:

– والآن انتبهوا أيها السادة.. إليكم أعظم مشهد في الدنيا.. النفق السحري الذي يخفي في داخله الجان والعفاريت. وضغطت زرًا خفيًا في إطار الصورة، فدارت الصورة الضخمة حول نفسها وانكشفت فجوة في الجدار. وهتفت "**باندل**" :

– والآن أيها السادة لتروا أعاجيب العصر الحديث. وتقدم "**باتيل**" و"**ليمون**" مزودين بالبطاريات وتبعهما الآخرون. وقال "**باتيل**" :

– إن الهواء نقي، فلابد أن هناك وسيلة خفية للتهوية.

وكانت "**باندل**" على حق حين قالت إن النفق مهدم والطريق مسدود، فبعد عشرات من الأمتار كانت أمامهم أكداس من الحجارة تحول دون متابعة المسير. وقال "**باتيل**" :

– والآن فلنرجع أيها السادة ولنبدأ من جديد.. سبع خطوات إلى الأمام وثمان إلى اليسار وثلاث إلى اليمين.

ورجعوا إلى بداية النفق السري، ومشى "**باتيل**" سبع خطوات إلى الأمام، ثم انحنى يفحص الأرض ورفع رأسه قائلا:

– إنني لم أخطئ، فعلى الأرض علامة بالطباشير.. وبعد ذلك ثمان يساراً وثلاث يميناً، وهذه لا يمكن أن تحسب بالخطوات؛ لأن النفق ضيق ومنخفض. قال "**أنتوني**" مقترحًا:

– فلنجرب أن نعدها بقوالب البلاط أو الطوب. وهتف "**باتيل**" في سرور:

– آه! لقد نجحنا.. ها هي ذي علامة أخرى بالطباشير.

وتحسس الجدار بأصابعه متفحصًا، فلمس قالبًا متخلخلا من مكانه، فعالجه حتى خرج في يده، وكشف عن فجوة في الجدار. أدخل "**باتيل**" يده في الفجوة، وهم يرقبونه جاحظي الأبصار، لاهثي الأنفاس. ثم سحب يده وفيها لفافة صغيرة من الورق. فض اللفافة، وتجمعوا حوله يتطلعون إلى ما فيها. وكان ما فيها حفنة من الأزرار، وقطعة من التريكو، وحلية صغيرة على شكل وردة اسمها "**ريشموند**"، وورقة صغيرة مسطور عليها هذان الحرفان: «أ. ب». وصاحت "**فرجينيا**":

– ما معنى هذا؟ فأجاب "**أنتوني**":

– معناه أن الأمير "**أستيل بيتش**" سخر منها.. لقد توقع أن تقع مذكراته في أيدي بعض الناس فوضع هذه الأشياء التافهة بدلا من الألماسة.

– أزرار.. وقطعة تريكو.. وقصاصة مذيلة بالحروف الأولى من اسمه.

– نعم.. إلا إذا كان لهذه الأشياء معنى خفي.. ربما كانت رموزاً، فمن أين لنا بالبروفسير "**وينوود**" لكي يفك هذه الشفرة؟ والتفت الشرطي الفرنسي "**ليمون**" إلى "**باندل**" يسألها:

– متى كانت آخر مرة دخل فيها أحد إلى هذا النفق؟ فأجابت:

– لم يدخل أحد منذ سنتين. فقال:

– هذا غريب.. انظروا إلى هذا. وكان «هذا» عود كبريت التقطه من الأرض قائلا:

– يستحيل أن يكون هذا الثقاب هنا منذ سنتين، بل ولا حتى منذ يومين، وإلا لانبرى رأس العود.

– وبالتأكيد لم يرم أحد منكم بعود ثقاب الآن؟ وأجابوا جميعًا بالنفي.. فقال "**باتيل**":

– لا داعي لبقائنا فقد رأينا كل ما نبغي.. هيا بنا.

وكان الأمير "**كاترهام**" مسترخيا في مقعده في قاعة الاجتماعات حين دارت الصورة وبرزوا من ورائها، فأجفل قليلا وقال:

– لقد أفزعتموني فحسبتكم حفنة من الشياطين.. من الغريب حقًّا أن الناس مولعون بمشاهدة الأنفاق السرية.. لقد كان السيد "**فيش**" أسعد الناس حين أريته هذا النفق. فسأله "**باتيل**":

– ومتى شاهده؟

– اليوم.. قبل تناول الغداء.. إذ يبدو أنه علم بأمره بطريقة ما.

وتأبط "**أنتوني**" ذراع "**ليمون**" ومضى به إلى خارج الغرفة، فلما ابتعدا تناول من جيبه قصاصة الورق التي جاءه بها "**بوريس**" وسأله:

– هل سقطت منك هذه الورقة يا سيد "**ليمون**"..؟ لقد جاءني بها "**بوريس**" وقال إنها سقطت من «السيد الأجنبي». فقال "**ليمون**":

– إنها لا تخصني، ولعله يقصد "**إيزاكستين**". ثم أردف:

– وبهذه المناسبة.. ما الذي تعرفه عن هذا الرجل "**بوريس**"؟

– لا شيء.. أكثر من أنه كان وصيفا للأمير "**ميشيل**".

– إذن يجب أن نتحرى عنه.. ما يدريك أنه ليس من أعوان الملك "**فيكتور**"؟

– يا إلهي..! أتظن هذا..؟ فغمغم في صوت خافت:

– من يدري..! من يدري. وأعاد إليه قصاصة الورق فقال "**أنتوني**" :

– لقد فاتك شيء مهم يا سيد "**ليمون**" .. كنت أحسب أنك ستبادر إلى تدوين العنوان المسطور على الورقة، فقد تكون له أهميته. فغمغم "**ليمون**" ضاحكًا :

– آه..! أتحسبني غبيا غافلا إلى هذا الحد؟

وأزاح كم سترته فإذا بالعنوان مدون بالقلم الرصاص على كُم القميص: «فيلا "**هاستمير**"، طريق "**لانجلي**"، "**دوفر**"» فقال "**أنتوني**" في خجل:

– لقد كنت أنا الغبي الغافل.

ولحق "**أنتوني**" بالمفتش "**باتيل**"، فابتدره هذا بقوله:

– سيد "**كيد**".. ألك أعداء في هذا القصر؟ فأجابه:

– ولم السؤال؟

– لأنني تلقيت خطابا غفلا من التوقيع يطعن فيك. وناوله قصاصة صغيرة من الورق مسطوراً عليها هذه الكلمات :

«راقب السيد "**كيد**".. إنه ليس كما يزعم».

قال "**أنتوني**" ضاحكاً :

– أهذا كل شيء..؟ لعله يريد أن يقول إنني الملك "**فيكتور**" متنكرًا.

مضى إلى حديقة الأمير ليخلو إلى نفسه، وإذا به يفاجأ بالسيد "**فيش**" واقفا يتأمل الأمير في إعجاب.

وراح السيد "**فيش**" يتحدث عن الأزهار المختلفة وأسمائها. وجاءت "**باندل**" تقول :

– إني ذاهبة إلى المدينة، فهل يريد أحد أن يصحبني لأمضي به إلى أي مكان يشاء؟ فشكرها "**أنتوني**" قائلا :

– شكرًا لك.. إني عائد لتوي من الخارج والنعاس يغالبني، وسأسرع إلى

الفراش لأستغرق في نوم عميق.

وقال لها السيد "**فيش**":

– شكراً.. إني لا أنوي الخروج اليوم.

ومضت "**باندل**" إلى القصر لتستقل سيارتها، وتناول "**أنتوني**" سيجارة دسها بين شفتيه، وبحث في جيوبه عن الكبريت فلم يجده فقال:

– أمعك عود من الثقاب يا سيد "**فيش**"؟

وناوله السيد "**فيش**" علبة الكبريت، فتناول منها عوداً أبقاه في يده دون أن يشعله وهو يتجه إلى القصر متظاهراً بأنه يتثاءب وأنه يغالب النوم.

ولكن ما إن تخطى "**أنتوني**" عتبة القصر حتى تبدلت هيئته.. انطلق يجري إلى باب إحدى الشرفات المطلة على ممر السيارات، ووقف متربصا عند منعطف يخفيه عمن في القصر. وما إن أقبلت سيارة "**باندل**" تهدر حتى لوح بيده يستوقفها وقفز إلى داخلها وهو يقول:

– إني قادم معك إلى "**لندن**". وسألته:

– ما هذا الذي في يدك؟ فأجاب:

– مجرد عود ثقاب.

بيد أنه دس العود في جيبه في عناية، وقذف إلى الأرض بالسيجارة التي بين شفتيه دون أن يشعلها.

- 24 -

انطلقت "**باندل**" بالسيارة بسرعة مخيفة اهتزت لها أعصاب "**أنتوني كيد**"، ولكنه لبث صامتاً لا يبدي اعتراضاً. وقالت له "**باندل**":

– إني متلهفة إلى أن أعرف السبب في رحيلك المفاجئ، فقد قلت إنك متعب وستأوي إلى فراشك.

وإذ ظل صامتًا لا يجيب مضت تقول :

– أتراك هاربًا من العدالة؟ فقال باسمًا :

– من يدري؟ كل شيء جائز ومحتمل . فقالت :

– أم تراك هاربًا مع الآنسة "**برون**" لتتزوجا سرًا . .؟ فأجاب :

– إن الدنيا مليئة بالمفاجآت . وقالت له فجأة :

– إن "**فرجينيا**" فتاة ذكية، وعلى الرغم من أن زواجها كان على غير حب، إلا أنها أسعدت زوجها وكانت له وفية مخلصة .

– وما شأني حتى تدلي إليّ بهذه المعلومات؟

– لأني أعلم أنه لن يضايقك أن أحدثك عنها . وبلغت السيارة مشارف "**لندن**" فقال لها :

– هل لك أن تنزليني عند ناصية "**هايد بارك**" ؟

– وفي العودة . .؟ متى ألقاك؟

– شكرًا لك . . إني أستطيع أن أتولى أمر عودتي .

وغادرها وركب إحدى سيارات الأجرة، وأمر السائق بأن يمضي به إلى محطة "**فيكتوريا**" ، وإذ جاء قطار "**دوفر**" أسرع يصعد إليه . وفي مدينة "**دوفر**" طلب أن يرشدوه إلى فيلا "**هاستمير**" في طريق "**لانجلي**" .

كان طريق "**لانجلي**" طويلا ممتداً، أما فيلا "**هاستمير**" فكانت– طبقًا لما ذكره حمّال المحطة– آخر بيت إلى اليسار، وكانت قائمة في بقعة منعزلة نائية عن غيرها من الدور .

ووقف "**أنتوني**" برهة يرقب الطريق المهجور وقد خالجه شيء من التردد، ثم عبر الطريق بسرعة محاولا أن يتفادى نوافذ البيت، ودلف من البوابة، وجرى إلى ناحية البيت متسترا بالأشجار، وقبع مختفيًا وراء شجيرة قريبة من المبنى .

وسمع وقع أقدام ثقيلة تدق الأرض، ورأى حارسًا مسلحًا في نطاقه مسدس يطوف حول الدار، فترقب حتى تضاءل وقع خطاه، وتسلل إلى جانب إحدى النوافذ، وسمع أصواتًا تتحدث، فرفع رأسه في حذر، وتطلع إلى الداخل. كانوا ستة أشخاص حول مائدة يلعبون الورق، وقال أحدهم مزمجراً:

– لقد تأخر الرئيس. وأجابه آخر:

– إنه يوشك أن يحضر على أية حال.

– لكم أتمنى أن أرى رئيسكم هذا. فإنكم كالثعالب تتوارون عن الأنظار، وتعرضون غيركم للمخاطر.

– أطبق فمك، وإلا أطبقت "اليد الحمراء" على عنقك. وصاح آخر:

– الملك "فيكتور" و«رِفاق اليد الحمراء» يعملون الآن معا متضافرين، فلا داعي لأن نثير شجاراً بيننا.

وسمع "أنتوني" وقع أقدام الحارس وهو يقترب، فتوارى وراء الشجيرة، ولما عاد مرة أخرى إلى النافذة سمع أحد الرجال الستة يقول:

– إن الأسير أفاق من إغمائه منذ لحظات بعد تلك الضربة التي نالها فوق رأسه.

وفعلا سمع "أنتوني" صوت تأوهات مكتومة تصدر من نافذة في الطابق الأعلى.

ولم يتردد "أنتوني" لحظة.. تسلق شجرة تمتد أغصانها على الجدار، فإذا به داخل الغرفة التي تصدر منها التأوهات.. وأخرج بطاريته وسلطها على الفراش، ورأى رجلا راقداً على الفراش أجنبي السحنة شاحب الوجه، وكان رأسه معصوبًا بالضمادات. وقبل أن يتقدم إليه خطوة واحدة سمع صوتًا آمراً يقول:

– ارفع يديك، وإياك أن تتحرك..! وحين استدار رأى نفسه وجهًا لوجه أمام السيد "فيش" وفي يده مسدس مصوب إليه.

- 25 -

بعد العشاء كانوا جلوسًا في قاعة المائدة: الأمير "**كاترهام**" و"**فرجينيا**" و"**باندل**" . كان ذلك في مساء الثلاثاء، وكانت قد انقضت ثلاثون ساعة منذ رحيل "**أنتوني كيد**" المفاجئ.

وللمرة العاشرة عادت "**باندل**" تردد نفس الكلمات:

– ولكني فهمت منه عندما تركته في "**هايد بارك**" أنه عائد في نفس الليلة. كما أن حقائبه هنا.

وسأل الأمير "**فرجينيا**" :

– ألم يقل لك إلى أين كان ينوي أن يذهب؟

– كلا.. لم يقل لي شيئًا.

وساد الصمت برهة ثم قالت "**باندل**" :

– والغريب أيضًا أن السيد "**فيش**" تسلل من القصر دون أن يخبر أحدًا.

وجاء "**تريدويل**" رئيس الخدم ليخطر الأمير بأن الشرطي الفرنسي "**ليمون**" يطلب مقابلته، فقال الأمير معقبًا:

– لعلهم عثروا على جثة السيد "**فيش**" . وجاء الفرنسي وعلى وجهه مظاهر الانفعال واضحة، وقال:

– لقد طلبت مقابلتك يا سيدي الأمير لأطلعك على الاكتشافات التي وقعت عليها خلال الأربع والعشرين ساعة الأخيرة.

– لابد أنها اكتشافات ذات شأن.

– بعد ظهيرة الأمس يا سيدي الأمير غادر أحد ضيوفك القصر بطريقة غريبة شاذة، ولا أكتمك أنه كانت لدي شكوك منذ اللحظة الأولى.. ها هو ذا الرجل يأتي إلى القصر قادمًا من أحراش "**إفريقيا**"، أما قبل ذلك، فأين كان..؟ لا أحد يدري..!

وتململت "فرجينيا" في مقعدها، ورمقها الرجل الفرنسي بنظرة جانبية، ثم استطرد:

– ولقد حاولت أن أتحرى عنه، وأرسلت العديد من البرقيات، ولكن دون أن أتلقى ردًا شافيًا. وهو في سلوكه وطباعه وأوصافه شبيه بالرجل الذي أسعى وراءه، أعني الملك "فيكتور". فهو مثله طويل القامة، جسور، مقدام، مغامر لا يهاب شيئًا. وكل ما عرفته عنه أنه أمضى عشر سنوات في "كندا"، أما ما بعد ذلك فسر غامض مستغلق. وسكت "ليمون" هنيهة ليستجمع شوارد أفكاره ثم استطرد:

– وذات يوم وقعت في يدي قصاصة ورق كانت قد سقطت منه، ورأيت مدونًا فيها عنوان بيت في "دوفر". وتعمدت وأنا أسير في الحديقة أن أسقط نفس القصاصة على الأرض متظاهرًا أنها وقعت مني دون أن أشعر. ومن جانب عيني رأيت الوصيف "بوريس أنشوكوف" يلتقط الورقة ويحملها إليه. وكان لدي اعتقاد يشبه اليقين بأن هذا الوصيف "بوريس" مندوب لـ"رفاق اليد الحمراء"، ونحن نعلم أن "اليد الحمراء" والملك "فيكتور" يعملون الآن متعاونين، ولذلك لم أستغرب أن يعرض "بوريس" خدماته على السيد "كيد" ويلتحق بخدمته، وإلا فما الذي يجعله يختار رجلا غريبًا ليخدمه..؟ وتابع "ليمون" الحديث قائلا:

– وحدث بعد ذلك شيء غريب.. جاء إليّ السيد "كيد" وعرض عليّ قصاصة الورق، وسألني عما إذا كانت قد سقطت مني، فأنكرت بطبيعة الحال. وتصرفه هذا يعني: إما أنه بريء تماما، وإما أنه في منتهى الذكاء. ومع ذلك واصلت تحرياتي، جاءتني اليوم أنباء خطيرة.. هذا المنزل الذي في "دوفر" كان مهجورا خاليا منذ فترة بعيدة، ولكن أول أمس نزل به جماعة من الأجانب، وما من شك في أنه أصبح مقر قيادة الملك "فيكتور".

ومضى الشرطي الفرنسي يقول:

– والآن فلننسق الوقائع.. بعد ظهر أمس غادر السيد "كيد" القصر بطريقة غامضة، إذ لا شك أنه أدرك أن اللعبة قد انكشفت بعد أن وقعت منه قصاصة الورق المسطور عليها عنوان مقر العصابة، وقد سافر من فوره إلى "دوفر"، وأمر رجاله بالتفرق، أما ما هي خطوته التالية فهذا ما لا أدريه، ولكن الذي لا شك فيه هو أن السيد "كيد" لن يرجع إلى هنا أبداً.. غير أني وأنا الخبير بطباع الملك "فيكتور" فإني أعرف أنه لن يتخلى عن اللعبة، وسيحاول أن يستولي على الماسة "كوهينور".. وعندما يحضر سأكون له بالمرصاد.

وهبت "فرجينيا" واقفة، وقالت في عصبية:

– لقد فاتك شيء واحد يا سيد "ليمون".. إن السيد "كيد" لم يكن هو الوحيد الذي اختفى بالأمس فجأة من القصر بطريقة غامضة. فسألها "ليمون":

– ماذا تعنين يا سيدتي؟

– إن كل ما ذكرته ينطبق أيضًا على السيد "فيش". فقال "ليمون" في دهشة:

– السيد "فيش"؟!

– نعم.. فهو أيضًا– مثل السيد "كيد"– قادم من "أمريكا".. صحيح أن معه خطاب تزكية، ولكن ما يدرينا أن الخطاب ليس مزوراً، أو أنه انتحل شخصية من كتب الخطاب تزكية له، وأن السيد "فيش" ما هو إلا الملك "فيكتور" متنكرًا! وهناك عدة شبهات قائمة ضده، فليلة اغتيال الأمير "ميشيل" انبثق النور من غرفته عقب إطلاق الرصاص، وعندما اصطدم بي في الليلة التالية وأنا أطارد اللص كان مرتديًا ثيابه كاملة في حين كان المفروض أنه غارق في النوم مرتديًا بيجامة.. ومن المحتمل أن القصاصة التي بها عنوان العصابة في "دوفر" سقطت من السيد "فيش" وليس من السيد "كيد"..! إنك

بالتأكيد لم ترَ السيد "كيد" والورقة تقع منه.. وما يدريك أن السبب في عدم عودة السيد "كيد" إلى القصر حتى الآن هو أنه اختطف. ثم أردفت "فرجينيا" في حماسة:

– كلا يا سيدي.. إن الشبهات المحيطة بالسيد "فيش" أشد جسامة من الشبهات التي تثار حول السيد "كيد".

فقال السيد "ليمون" في لهجة حاسمة.

– لن أناقش وجهة نظرك يا سيدة "ريفيل"، ولكني أحب أن أصارحك بشيء تجهلينه.. أن السيد "فيش" ضابط في المباحث الجنائية الأمريكية. فصاح الأمير "كاترهام":

– يا إلهي! ماذا تقول؟ وتهاوت "فرجينيا" على المقعد يائسة، وقد رأت كل دفاعها الحماسي ينهار ويتهدم.

وفجأة تذكرت "فرجينيا" شيئًا.. قالت:

– وهل تعتقد يا سيد "ليمون" أن السيد "كيد" هو الذي قتل الأمير "ميشيل"؟ فأجاب:

– بكل تأكيد يا سيدتي. فصاحت:

– كلا.. كلا.. إني أستطيع أن أقطع عن يقين بأن السيد "كيد" ليس هو الذي قتل الأمير "ميشيل".

فقال الفرنسي:

– هذا جائز.. إذن يكون "بوريس" هو القاتل تنفيذًا لأمر مولاه.

وعند هذه الكلمات نهض "ليمون" واقفًا وغادر القاعة وهو ينحني أمام الأمير "كاترهام" تحية واحترامًا. وقالت "باندل" في أعقابه:

– أشد ما أمقت هذا الرجل الكريه بلحيته البغيضة! وقالت "فرجينيا":

– إني متعبة، فهل تأذنون لي بالانسحاب إلى مخدعي. وانصرفت من الغرفة

تشيعها "**باندل**" بنظرة رثاء وإشفاق.

وفي البهو لمحت "**فرجينيا**" المفتش "**باتيل**" يمرق من أحد الأبواب، فاستوقفته وقالت له:

– إن السيد "**ليمون**" يقول إن السيد "**فيش**" شرطي سري أمريكي، فهل هذا صحيح؟

فأومأ "**باتيل**" برأسه إيجابا، فعادت تسأله:

– أوكنت تعرف هذا من قبل؟ فعاد يومئ برأسه إيجابا للمرة الثانية.

ومضت إلى مخدعها حزينة يائسة. وفيما هي تفكر في أسى سمعت صوت ارتطام بعض الحصى بزجاج النافذة، فلما أطلت رأت الخادم "**بوريس**" يشير إليها، وسمعته يقول:

– لقد جئتك برسالة من مولاي يا سيدتي.

وقذف إليها عبر النافذة بورقة لفها على حصاة، فوجدت مسطورا عليها هذه الكلمات:

«عزيزتي.. إني في مأزق، ولكن لابد أن أنتصر.. هل لك أن تبادري بالحضور إلي..؟ ثقي بي؟»

وأطلت من النافذة وسألت "**بوريس**":

– ولكن أين هو؟ فأجاب:

– سأقودك إليه يا سيدتي.. إن معي سيارة عند الباب الخلفي الصغير، ولكن كوني على حذر فإن القصر مليء بالمخبرين.

– سأوافيك حالا فانتظرني.

وخطت سطورا قليلة تنبئ "**باندل**" بما جرى، ورشقت الرقعة في وسادة الفراش، ثم تسللت من القصر خلسة وفي قلبها فيض من الجرأة والشجاعة.

*****

- 26 -

في الساعة العاشرة من صباح يوم الأربعاء– الموافق الثالث عشر من شهر تشرين الأول (أكتوبر)– كان "**أنتوني كيد**" يدخل إلى فندق "**هاريدج**"، ويطلب مقابلة "**البارون لولوبريتز**".

واقتيد إلى جناح "**البارون**"، فلما دخل عليه وجد في رفقته النقيب "**أندراسي**". وبعد تبادل التحية قال "**أنتوني**":

– معذرة يا سيدي "**البارون**" إذا أنا أقحمت نفسي عليك بهذه الزيارة المبكرة، ولكنني جئت أعرض عليك صفقة عمل.

فقال "**البارون**" في نبرة استخفاف:

– أحقًّا تقول؟

– نعم.. فأنت تريد شيئًا، وهذا الشيء موجود لدى الطرف الآخر، فلا يبقى بعد هذا إلا أن نتفق على الثمن.

وتطلع إليه النقيب "**أندراسي**" في شك وريبة، فقد كان لا يثق بـ"**أنتوني كيد**"، أما "**البارون**" فقال في اقتضاب:

– فلنسمع إذن إلى ما لديك.

– الأمير "**ميشيل**" قُتل، والحزب الملكي في "**هيرزوسلوفاكيا**" الذي تمثله أنت في حاجة إلى أمير ينصبه على العرش، فلنفرض– مجرد فرض– أنني أستطيع أن أزودك بالأمير الذي تحتاج إليه.

ورمش "**البارون**" مجفلا، أما النقيب "**أندراسي**" فقد قال في غضب:

– هذه وقاحة!.. هذه إهانة يا سيدي.. فقال "**أنتوني**":

– كلا يا سيدي.. بل مجرد عرض وطلب.. صفقة شريفة بكل تأكيد.. فإنني لن أقدم إليك أميرًا مزيفًا، وإنما أميرًا حقيقيًّا أصيلا... فقال "**البارون**" في حيرة:

– ماذا تعني يا سيدي؟

– إنني على استعداد لأن أقدم إليك أميراً، ولكن بشروط معينة.. وحملق إليه الرجلان بنظرات غاضبة. وقال "أنتوني":

– فكر في الأمر يا سيدي، ولكن أرجو أن تحضر مساء اليوم إلى قصر "شيمنيز"، ومعك النقيب "أندراسي" في تمام الساعة التاسعة في قاعة الاجتماعات.. وهناك ستتكشف لكما مفاجآت لا تخطر على بال.. طاب يومكما أيها السيدان.

واستدار على الفور وغادر الغرفة بعد أن انحنى تحية للرجلين.

وكانت زيارته الثانية للسيد "إيزاكستين" في مكتبه. وحين استقبله بادره "أنتوني" بقوله:

– لا شك أن مصرع الأمير "ميشيل" أثار انزعاجك وقلب خططك رأساً على عقب.. أعني فيما يتعلق بحق التنقيب عن البترول.

ورماه المالي الكبير بنظرة فاحصة وقال:

– ما الذي تريده بالضبط يا سيد "كيد"؟

– أريد أن أقدم إليك أميراً متعاطفاً مع الشركات الإنجليزية ويهمه أن يمنحها حق التنقيب دون الشركات الأمريكية.

فسأله "إيزاكستين":

– ومن أين جئت بهذا الأمير؟

– هذا شأني أنا. فتفحصه المالي اليهودي برهة وقال:

– أمير أصيل بالتأكيد.. إني لا أقبل الأمراء الزائفين.. ولكن ما هي شروطك؟

– أن تقدم إليه نفس القرض الذي كنت تنوي أن تقدمه إلى الأمير "ميشيل".

– فليكن.. لقد قبلت هذا الشرط.. أما من شيء آخر؟

– نعم.. أن تحضر إلى "شيمنيز" الليلة في التاسعة مساء.

– مستحيل.. فإني مرتبط بموعد مهم.

– لا مفر لك من إلغائه.. وهذا لصالحك بالتأكيد، فأنت لا تعلم أنهم عثروا في حقيبتك على المسدس الذي قُتل به الأمير "**ميشيل**". وهب "**إيزاكستين**" واقفًا وهو يصرخ:

– ماذا تقول يا سيدي ؟!

– أقول يا سيدي إن سلاح الجريمة وُجد في حقيبتك.

– مستحيل!.. مستحيل.. إني لا أعرف شيئًا عن هذا المسدس.

– ما دام الأمر كذلك فمن السهل أن تبرئ نفسك.

– ولكن كيف أبرئ نفسي؟

– تعال الليلة إلى قصر "**شيمنيز**" تجد الوسيلة لتبرئة نفسك سهلة ميسرة.. طاب يومك يا سيدي.

- 27 -

قال الأمير "**كاترهام**" لابنته وهو متبرم ضيق الصدر:

– لقد حسبت أنني تخلصت من متاعب الضيافة، وأن في وسعي أن أنطلق فأرحل إلى الخارج، فإذا بالسيد "**أنتوني كيد**" يعقد لهم اجتماعًا في بيتي!..

– رباه!.. متى أصبح حرًا طليقًا؟

وفتح باب قاعة الاجتماعات ودخل "**تريدويل**" ليعلن قدوم وزير الخارجية "**جورج لوماكس**" وسكرتيره "**بيل إيفرسلي**". وقال "**جورج**":

– ما معنى هذا الاجتماع وما الهدف من ورائه؟ فأجابه "**كاترهام**":

– الحق أني لا أدري، فـ"**أنتوني كيد**" هو الذي دبر الأمر، بل إنه هو الذي وجه الدعوات وحدد المدعوين.

فقال "**بيل**":

– لعله أراد أن يجمعنا هنا ليخلو له الجو في مكان آخر ليسطو عليه.. هذا ما يفعله اللصوص كما نقرأ في القصص. فقالت "**باندل**" ساخرة:

– إذن فانت تؤمن بانه الملك "**فيكتور**"؟

– وهل في هذا من شك؟.. وإني لأراهن على أنه لن يجرؤ الليلة على الظهور. على أنه ما فرغ من جملته حتى فُتح الباب مرة أخرى، وظهر "**تريدويل**" ليعلن قدوم السيد "**أنتوني كيد**".

ودخل "**أنتوني**" واتجه مباشرة إلى رب القصر بقوله:

– يؤسفني أن أستغل سماحتك يا سيدي الأمير فأزعجك بهذا الاجتماع، ولكنه كان أمراً لا مفر منه حتى نجلو بعض الغموض. فقال "**كاترهام**":

– لا إزعاج على الإطلاق.

فالتفت "**لوماكس**" إلى "**باتيل**" الذي كان منزوياً عند باب الشرفة، وسأله:

– أكان ضرورياً يا سيد "**باتيل**" أن يعقد هذا الاجتماع؟ فأجابه المفتش:

– هذا ما أراه يا سيدي الوزير.

– فليكن إذن.. إننا في الانتظار. واستوى "**أنتوني كيد**" على أحد المقاعد وقال:

– إنكم تعلمون جميعاً أن البروفسير حل شفرة إحدى الرسائل منذ أيام، وقد وردت فيها كلمة "**ريشموند**" وبضعة أرقام، وحاولنا أن نعثر على الماسة "**كوهينور**" مستعينين بهذه الرموز ففشلنا ولم نعثر على الجوهرة.

وسكت هنيهة، ثم استطرد يقول:

– وعندما كانت مذكرات الأمير "**أستيل بيتش**" بين يدي بادرت إلى قراءتها بطبيعة الحال، فوجدت فيها إشارة في حفل عشاء تحلى المدعوون إليه بوردة معينة معروفة باسم "**ريشموند**" رشقوها في عرى ستراتهم. وهنا يجب أن أذكركم بأننا عثرنا في المخبأ الذي اكتشفناه في النفق السري على حلية صغيرة

على شكل هذه الوردة، أي وردة "**ريشموند**"، كما عثرنا أيضاً على مجموعة من الأزرار، وقطعة منسوجة من التريكو، فما معنى هذا أيها السادة؟.. وأين هو مخبأ الجوهرة؟ لقد فكرت في الأمر طويلا أيها السادة حتى انتهيت إلى إماطة اللثام عن هذه الرموز.

وأمسك عن الحديث برهة ليحدث في نفس سامعيه التأثير المنشود، ثم مضى يقول:

– غرز التريكو مرصوصة صفوفا بجانب بعضها، فما هو الشيء الموجود في هذا القصر والذي يمكن أن يشار إليه بهذا الرمز أي بالغرز المرصوصة بجانب بعضها؟.. الكتب بالتأكيد.. صفوف مرصوصة من الكتب!.. وما معنى حفنة الأزرار التي وجدناها في مخبأ النفق السري؟.. إن عددها إشارة إلى رقم الرف المقصود بين رفوف الكتب.. أما أنموذج وردة "**ريشموند**" فيشير إلى كتاب يحمل اسم "**ريشموند**".

ودار "**أنتوني كيد**" ببصره في الحاضرين وقال:

– وقد زرت مكتبة القصر، فوجدت فيها كتاباً عنوانه: «**حياة الإيرل أوف ريشموند**»، فهذا إذن هو تفسير نموذج وردة "**ريشموند**".. ووجدت الكتاب في الصف السابع، وهذا هو تفسير عدد الأزرار السبعة...

وابتسم "**أنتوني كيد**" في ثقة واطمئنان وقال:

– ووضح أمامي السر الخفي.. مخبأ الماسة "**كوهينور**" موجود في قاعة المكتبة، في الرف السابع، إما داخل كتاب «**حياة الإيرل ريشموند**» أو وراءه في باطن الجدار. وتطلع "**أنتوني كيد**" إلى الحاضرين في تواضع.

وهتف "**جورج لوماكس**":

– رائع!.. رائع جداً.. إنك نابغة يا سيد "**كيد**"، ولكن بقي أن نتأكد من الأمر. فأجاب "**كيد**":

– بالتأكيد . . بالتأكيد . . إنك محق في هذا يا سيدي الوزير.

وهب واقفًا على قدميه وهو يقول:

– إني ذاهب الآن إلى المكتبة لآتيكم الألماسة.

ولكنه لم يتقدم خطوة واحدة، فقد اعترض طريقه مفتش البوليس السري الفرنسي "**ليمون**" وهو يقول:

– لحظة واحدة يا سيد "**كيد**".

وتناول ورقة من جيبه خط عليها بضع كلمات، ودق الجرس، فما جاء "**تريدويل**" حتى ناوله "**ليمون**" الورقة وهو يقول:

– سلم هذه الورقة حالا لمن كتبت إليه. وعاد "**أنتوني كيد**" إلى مقعده، وقال:

– ماذا تقصد بهذا يا سيد "**ليمون**"؟ وأجاب الشرطي الفرنسي:

– في هذه اللحظة الدقيقة، وبعد أن انكشف من الأمر ما انكشف لا يجوز لأحد أن يبرح هذه الغرفة، خصوصًا إذا كان ماضيه غامضًا محفوفًا بالشكوك.

وساد القاعة جو من التوتر. ورفع "**أنتوني كيد**" حاجبيه قائلا:

– إنك تعنيني بهذا التلميح يا سيدي؛ لأنني قضيت حياتي السابقة شريداً أتجول في بلاد الدنيا دون أن أستقر في مكان. فقال "**ليمون**":

– منذ شهرين كنت أنت يا سيد "**كيد**" في "**جنوب إفريقيا**" هذا أمر تأكدنا منه، ولكن أين كنت قبل ذلك؟

فأجاب "**أنتوني**" في استخفاف:

– كنت في "**كندا**". فقال الفرنسي في نبرة من التحدي:

– أواثق أنت بأنك لم تكن في السجن؟

وتنحى المفتش "**باتيل**" عن موضعه بجانب النافذة وبادر بالوقوف عند الباب،

كأنما يتهيأ لكي يسد الطريق على من يحاول الفرار. ولكن "**أنتوني كيد**" لم يبرح مقعده، ولم يحاول أن يهرب. بل إنه على العكس تطلع إلى الشرطي الفرنسي وانفجر ضاحكًا، وقال:

– إني أرثي لك يا عزيزي "**ليمون**"، فإنك مصاب بعقدة اسمها الملك "**فيكتور**"، فأنت تتخيله في كل إنسان أمامك.

– وهل تنكر أنك أنت الملك "**فيكتور**"؟

– إنني لا أنكر ولا أعترف. فقال الفرنسي:

– أتعرف ما هي هذه الرقعة التي بعثت بها الآن مع "**تريدويل**"؟.. إنها أمر إلى زملائي في فندق "**الكريكيت**" بأن يسرعوا إليّ ببصماتك لأثبت بالدليل القاطع الذي لا شبهة فيه أنك أنت الملك "**فيكتور**".

فقال "**أنتوني**" ضاحكًا:

– وهب أن هذا حدث، فما هي النتيجة المنتظرة؟

– سأقبض عليك فوراً وأضع الأغلال في يديك.

– لا أظن.. فمن المعروف أن الملك "**فيكتور**" يجيد الهرب.

وطال التحدي، والحاضرون يستمعون إلى ما يدور بين الرجلين في استمتاع وشغف. وقال "**أنتوني**":

– إذن فأنت تعتقد أنني الملك "**فيكتور**"؟

– وهل في ذلك شك؟

– وأنت تعتقد أيضًا أنني قاتل الأمير "**ميشيل**"؟

– وهذا أيضًا لا شك فيه.

– ولكن كيف غاب عنك أن الملك "**فيكتور**" لا يسفك الدم أبدًا ولم يقتل أحدًا في حياته؟

– لقد فاجأك الأمير وأنت تبحث عن الألماسة، فلم يكن أمامك مناص من أن

تقتله.

– وهل لديك دليل على أنني القاتل؟

– سأقدم الدليل بالتأكيد. فقال "أنتوني" ضاحكًا:

– أما أنا فلن أقدم إليك دليلا على براءتي.

– إذن فأنت تعترف؟

– كلا.. ولكنني سأقدم إليك القاتل نفسه.

وفي هذه اللحظة دوت صفارة من الحديقة فقال "أنتوني" في صوت هادئ رصين:

– أيها السادة.. إن قاتل الأمير "ميشيل" موجود الآن في قاعة المكتبة!..

ووثب "أنتوني كيد" من مقعده وانطلق من باب الشرفة يتبعه الآخرون. وعند باب قاعة المكتبة المفضي إلى الشرفة توقف "أنتوني"، ودفع الباب ففتح، إذ لم يكن مغلقًا بالمزلاج، ثم أزاح الستار، وتطلعوا جميعًا إلى الداخل.

كانت غرفة المكتبة مظلمة، ولكن كان هناك شبح شخص واقف أمام رفوف الكتب وفي يده بطارية مضاءة. وهو منهمك في فحص الكتب المصفوفة إلى حد أنه لم ينتبه إلى أصوات الذين يرقبونه من الخارج. وفجأة سمع صوت عراك داخل الغرفة، أعقبه دوي طلق ناري. ووثب "أنتوني كيد" إلى داخل القاعة وأضاء النور.

وكشف الضوء عن مشهد عجيب.. على الأرض كانت امرأة مسجاة بلا حراك، وبجانبها يقف "بوريس أنشوكوف" وصيف الأمير "ميشيل" والشرر يتطاير من عينيه، وهو يغمغم في ثورة عاتية:

– لقد انتقمت لمولاي!.. انتقمت لمولاي!..

وتطلعوا إلى وجه المرأة المسجاة على الأرض، فإذا هي مربية الأولاد: الآنسة "برون"!

- 28 -

قال "**أنتوني كيد**" :

– لقد اشتبهت فيها منذ اللحظة الأولى؛ بسبب الضوء الذي انبثق في غرفتها عقب سماعي دوي الطلق الناري الذي قضى على الأمير "**ميشيل**" . ولكن شبهاتي تبددت عندما زرت الأميرة "**بروتيل**" وعرفت منها أنه كانت في خدمتها فعلا مربية تدعى الآنسة "**برون**" ، وأنها لبثت عندها أكثر من سبع سنوات، ولم يخطر ببالي عندئذ أن من المحتمل أنها انتحلت شخصية مربية الأميرة، وتحولت شكوكي إلى السيد "**فيش**" . ولكن عندما عرفت فيما بعد أنه ضابط في المباحث الجنائية الأمريكية ارتدت شكوكي مرة أخرى إلى الآنسة "**برون**" .

واستطرد يقول:

– وذكرت في سياق الأحداث أن جماعة "رفاق اليد الحمراء" حاولوا منع السيدة "**ريفيل**" من الحضور إلى قصر "**شيمنيز**" فقتلوا في بيتها الخادم الإيطالي "**جيوسيب**" ؛ لكي تحول إجراءات التحقيق دونها وتلبية دعوة الأمير "**كاترهام**" ، وسألت نفسي عن السبب في خوفهم من حضورها إلى القصر. وخطر لي أن من المحتمل أن يكون الأمير "**ميشيل**" شخصًا مدعيًا انتحل شخصية الأمير زيفًا، ولما كانت السيدة "**ريفيل**" تعرف الأمير الحقيقي، فلعل هذا هو السبب في أنهم أرادوا الحيلولة دون السيدة "**ريفيل**" وزيارة القصر؛ حتى لا تنكشف حقيقة الأمير الزائف. ولكن ثبت بعد هذا أن القتيل هو الأمير الحقيقي.

ثم جاء "**البارون لولوبريتز**" إلى القصر فإذا بي ألاحظ أن المربية الآنسة "**برون**" لاذت بغرفتها مدعية أنها مصابة بالصداع، وأنها كانت لا تبرحها إلا إذا غاب "**البارون**" عن القصر، فإذا سمعت بعودته سارعت إلى مخدعها متذرعة بالصداع، فلماذا كانت تخشى مقابلة "**البارون**"؟.. إن "**البارون**" من أبناء "**هيرزوسلوفاكيا**" ، فلا شك إذن أن هذه المرأة من تلك البلاد، وأن "**البارون**"

يعرفها حق المعرفة، وأنها التحقت بخدمة القصر منتحلة شخصية أخرى غير شخصيتها الحقيقية، أي مدعية أنها الآنسة "**برون**"؛ ولذلك كانت تتجنب لقاء "**البارون**". وتطلع "**أنتوني**" إلى "**البارون**" قائلا:

– والآن أرجوك يا سيدي "**البارون**" أن تتأمل وجه هذه المرأة وأن تقول لنا إن كنت تعرفها أم لا؟.. هل سبق لك أن رأيتها؟.. تأملها جيداً.

ومال "**البارون**" فوق المرأة يتأمل وجهها في إمعان، ثم تبدت الدهشة العميقة في ثنايا وجهه وهتف مذهولا:

– يا إلهي!.. إنها هي.. هي بعينها.. إنني لا أصدق عيني. فسأله "**أنتوني**":

– من تكون؟ فأجاب في كلمات متلعثمة:

– إنها هي بعينها الملكة "**فاراجا**" زوجة الملك "**نيقولا الرابع**"!.. ولكنها متنكرة.. بشعر مستعار..

فقال "**أنتوني**":

– تماماً.. فقد عرفتها على الفور حين وقع بصري عليها لأول وهلة، فقد رأيتها في أثناء حفلة التتويج، كما أنني أحتفظ بصورة لها، وإن كانت هي لا تعرفني؛ لأنها لم تلمحني إلا مرة واحدة في أثناء الحفل. وقال "**البارون**":

– ولكنها قتلت أثناء الثورة التي نشبت في البلاد.

– إشاعة كاذبة.. إذ الحقيقة أنها فرت إلى "**أمريكا**" وأمضت فيها بضع سنوات، هاربة من بطش "رفاق اليد الحمراء" الذين قرروا أن يقتلوها عقابًا لها على غدرها بهم، حين طلبوا منها أن تستدرج "**نيقولا الرابع**" إلى مكان معين ليقتلوه فما كان منها إلا أن أوقعته في حبائل غرامها وتزوجته.

ومضى "**أنتوني**" يتابع الحديث بقوله:

– وأخيراً عادت الملكة "**فاراجا**" إلى "**إنجلترا**"، وانتحلت شخصية الآنسة "**برون**"، والتحقت بهذا القصر مربية للأطفال؛ لكي تبحث عن الماسة

"**كوهينور**" وتستولي عليها.

وفي أثناء إقامتها في القصر كانت توالي البحث عن المخبأ الذي أودع فيه الأمير "**أستيل بيتش**" الألماسة بعد أن نقلها من المخبأ الأصلي الذي اتخذته الملكة "**فاراجا**" للألماسة، فأنتم تعرفون بالتأكيد أنها كانت قبل زواجها ممثلة مغمورة وشريكة الملك "**فيكتور**" لص الجواهر المعروف، فسرقت نفسها: أي نزعت الألماسة من التاج الملكي في أثناء وجودها في قصر "**شيمنيز**" وخبأتها في مكان ما لكي تسلمها لشريكها فيما بعد.

وإذ أمسك "**أنتوني كيد**" عن الحديث قال المفتش "**ليمون**":

– كل هذا الحديث لا يعنيني في شيء.. أنت الشخص الوحيد الذي يهمني.. أنت هو الملك "**فيكتور**" لص الجواهر.

فضحك "**أنتوني كيد**" قائلا:

– كلا يا سيدي.. إنني لست الملك "**فيكتور**".

– حقًّا؟.. وهل تستطيع أن تثبت ذلك؟

– بالتأكيد.. بأن أقدم إليك بعد لحظات الملك "**فيكتور**".

وسارع "**أنتوني كيد**" يدق الجرس، فلما لبى "**تريدويل**" النداء قال له:

– "**تريدويل**".. في مخدع السيدة "**ريفيل**" رجل ينتظر فأحضره.

ومرت لحظات وسمعت نقرات على الباب، ثم فتح الباب وظهر على عتبته رجل معصوب الرأس بالضمادات، وفي خطى وئيدة تقدم الرجل إلى داخل القاعة. وفي هذه اللحظة حدثت جلبة في الغرفة، وجرى رجل إلى باب الشرفة محاولا أن يهرب إلى الخارج. ولكن الرجل جمد في مكانه.

ففي فجوة الباب كان السيد "**هيرام فيش**" منتصبًا بقامته المديدة، وفي يده مسدس مصوب إلى الرجل وهو يصيح به في صوت صارم:

– إذا تحركت خطوة واحدة أطلقت عليك النار.

- 29 -

قال "**أنتوني كيد**" يحدث الحاضرين:

– اسمحوا لي أيها السادة أن أقدم إليكم السيد "**ليمون**" مفتش البوليس السري بإدارة الأمن العام في "**باريس**" .

وأشار إلى الرجل المعصوب الرأس الذي كان يتقدم إلى داخل القاعة بخطى ثقيلة. واستطرد:

– أما السيد "**ليمون**" الذي نعرفه فشرطي زائف، ولكن اسمحوا لي أن أقدمه إليكم باسمه الحقيقي.. إنه الملك "**فيكتور**" لص الجواهر الشهير. فهتف السيد "**لوماكس**" :

– هذا عجيب!

– ولكنها الحقيقة.. لقد علم الملك "**فيكتور**" أن شرطيًّا فرنسيًّا يدعى "**ليمون**" قادم في أعقابه من "**باريس**"، فانقض عليه مع عصابته، وأحدثوا برأسه جرحًا، ثم حبسوه أسيرًا في فيلا بطريق "**لانجلي**" في "**دوفر**" . ولما ذهبت إلى الفيلا بعد أن عرفت العنوان من القصاصة التي دسها علي الشرطي الأمريكي السيد "**فيش**" . فاجأني السيد "**فيش**" هناك بمسدسه وهو يحسب أنني الملك "**فيكتور**"، فلما شرحت له حقيقة الأمر اقتنع بما قلت، وأطلقنا سراح الأسير "**ليمون**" الحقيقي، وجئنا إلى هنا، كما اعتقلنا أفراد العصابة بمعاونة المفتش "**باتيل**" إذ كانوا يتخذون من الفيلا مقرا لهم وقد أدلوا باعترافاتهم دون تردد، وسترون في مقارنة البصمات أن "**ليمون**" المزيف ما هو إلا الملك "**فيكتور**"، أو بعبارة أخرى: "**أونيل**" .

وتقدم "**باتيل**" من "**ليمون**" الزائف، ووضع الأغلال في يديه وهو يقول:

– أخيرًا وقعت أيها الملك "**فيكتور**"، هذه جريمتك الأخيرة. وقال "**أنتوني**" :

– والآن وقد قبضنا على الملك "**فيكتور**"، أظن أن الوقت قد حان لكي آتيكم

بالماسة "**كوهينور**"، فهيا بنا إلى الحديقة. فقال "**إيزاكستين**" معترضًا:

– الحديقة!.. إنك قلت إنها هنا في المكتبة في مخبأ وراء كتاب « **حياة الإيرل أوف ريشموند** ».

فضحك "**أنتوني**" وقال:

– كان هذا كله مجرد خدعة وتمويه.. الحقيقة أنها في الحديقة تحت شجرة الورد المعروفة باسم "**ريشموند**".. لقد عرفت مخبأها من قراءتي لمذكرات الأمير "**أستيل بيتش**".

وأسرعوا إلى الحديقة، ووقفوا عند شجرة وردة "**ريشموند**"، وطبقا لما جاء في الشفرة مشى "**أنتوني**" سبع خطوات إلى الأمام، ثم ثماني إلى اليسار، ثم ثلاثًا إلى اليمين، وجاء بمعول حفر به الأرض، فانكشف عن صندوق صغير، ما إن رفع غطاءه حتى تألقت الماسة كبيرة يخطف بريقها الأبصار.

وتناول المفتش "**باتيل**" الألماسة النادرة ودسها في جيبه، وهو يقول:

– الآن سأعود إلى "**اسكتلانديارد**"؛ إذ لم يعد لدي ما أعمله هنا بعد أن انكشف من اللغز ما كان خافيا.

فقال "**إيزاكستين**":

– بل بقي شيء واحد. والتفت إلى "**أنتوني كيد**" قائلا:

– إنك وعدتني يا سيد "**كيد**" بأن تقدم إليّ أميرًا ليرتقي عرش "**هيرزوسلوفاكيا**" حتى أعقد معه صفقة البترول، ولكن يبدو أنك خذلتني وحنثت في عهدك بكلمتك. فقال "**أنتوني**":

– إني لا أخذل أحدًا، ولا أحنث في عهد قطعته على نفسي.

– إذن أين هو هذا الأمير؟

– إنه موجود، فاسمحوا لي أيها السادة بأن أقدمه إليكم.. إن "**أنتوني كيد**" الماثل أمامكم الآن هو الأمير "**نيقولا ألكسندر فرديناند أوبولفيتش**".. نعم..

إنني الأمير المنشود الذي عنه تبحثون.

فدهشوا جميعا وارتسمت في عيونهم نظرات الدهشة الممتزجة بالارتياب.

وقال "**أنتوني**":

– وبالتأكيد سأقدم الدليل.

فقال "**إيزاكستين**":

– ولكن كيف حدث هذا؟

– بعد نشوب الثورة غادرت "**هيرزوسلوفاكيا**" وأخذت أطوف العالم متخذاً لنفسي اسمًا مستعاراً، ولكنني أرى الآن أنه قد حان أن أكشف الحقيقة وأسترد اسمي الأصلي، فما رأيك يا "**بارون**"؟

فانحنى "**البارون**" أمامه في احترام وهو يقول:

– إني أرحب بك ملكًا على البلاد يا مولاي.

وقال "**إيزاكستين**":

– أما أنا فسوف أعد في الحال بالاشتراك مع "**البارون**" عقد صفقة البترول.

وقال "**أنتوني كيد**" أو ملك "**هيرزوسلوفاكيا**" المنتظر:

– بقي شيء واحد أيها السادة.. يجب أن أقدم إليكم زوجتي.. الملكة المنتظرة.

وعاد بعد لحظات يتأبط ذراع "**فرجينيا ريفيل**"!!..

تمّت بعون الله